التفاوت في التوكيد بين الجمل القرآنية
دراسة بلاغية

د. عمر علي عمر بابعير
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة حضرموت

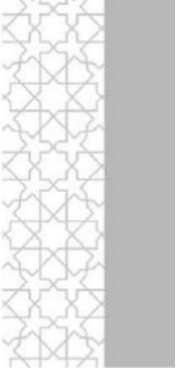

التفاوت في التوكيد بين الجمل القرآنية -دراسة بلاغية-

د. عمر علي عمر بابعير

قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة حضرموت

تاريخ تقديم البحث: ١٧/ ٤/ ١٤٤٤هـ تاريخ قبول البحث: ٩/ ٧/ ١٤٤٤هـ

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث مفهوم التفاوت في التوكيد بين الجمل في الدرس اللغوي، والفرق بينه وبين التساوي في التوكيد من جهة، وبينه وبين التخالف في التوكيد من جهة أخرى. ويأتي التفاوت في التوكيد بين الجمل على نوعين: تفاوت الجملتين في سياق واحد، وتفاوت الجملتين في سياقين مختلفين.

وإنَّ دراسة أسلوب التوكيد في القرآن الكريم في موضوع معين، وهو التفاوت تتيح للباحث تحديد الدراسة في اتجاه واحد، وتعطيه الفرصة للتوصل إلى أسباب اختلاف استعماله في الجمل، والأسرار المعنوية وراء هذا الاختلاف.

ولا يقتصر توكيد الجمل على المخاطَب كما هو مبيَّن في الدراسات الدلالية والبلاغية القديمة، بل قد يكون التوكيد قائمًا على المتكلِّم نفسِهِ لأغراضٍ مختلفة، أو قد يكون ناشئًا لسببٍ ما في السياق.

الكلمات المفتاحية: التوكيد، التفاوت، التساوي، التخالف، مؤَكِّد، مؤَكِّدين، مؤكدات.

The difference in the emphasis Between the Quranic sentences Rhetorical study

Dr. Omar Ali Omar Ba-Babaeer
Department Arabic Language – Faculty Arts, Hadhramout university

Abstract:

This research deales with the concept of difference in emphasis between the sentences in the linguistic lesson and the difference between it and between the equality of emphasis from one end and between it and the difference of emphasis on another. The difference of emphasis between sentences comes in two types: the two sentences vary in one context and the two sentences vary in two different contexts.

The study of the emphasis method in the Holy Qur'an in a specific subject, which is the differance allows the researcher to define the study in one direction and gives him the opportunity to reach the reasons of his difference approaches in that he used in the sentences and the moral secrets behind this difference.

The emphasis of sentences is not limited to the addressee as shown in the ancient semantic and rhetorical studies, but the emphasis may be based on the speaker himself for different purposes, or it may arise from some reason on the context.

Keywords: emphasis, difference, equality, variation, one emphasis, two emphasis, more than one emphasis.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فإنَّ هذا البحث يعنى بدراسة قضية من القضايا اللغوية والبلاغية، وظاهرة من الظواهر التركيبية في القرآن الكريم الذي جاء لمخاطبة الناس بوسائل وطرق متعددة، وتنوعت فيه أساليب الخطاب، ومن بين هذه الأساليب أسلوب التوكيد، وليس هذا الأسلوب يأتي على وتيرة واحدة في الأداء الكلامي، والبناء اللغوي، بل يتفاوت استعماله من جملة لأخرى، ومن تركيب لآخر.

والتوكيد أسلوب يحتوي على عدة أشكال تعبيرية وأنماط تركيبية، وهو من أكثر الأساليب انتشارًا في اللغة العربية؛ لأنه يتداخل مع أكثر الأساليب الأخرى، فقد يأتي مع النفي أو الإثبات، كما أنه قد يأتي مع الخبر أو الإنشاء، ويعتمد استعماله على تردد المخاطب في قبول الخبر أو إنكاره، فيؤكِّد المتكلم حديثه؛ لتقوية الكلام وتقريره وتثبيته في ذهن المخاطب.

وإن دراسة هذا الأسلوب في القرآن الكريم في موضوع معين، وهو التفاوت تتيح للباحث تحديد الدراسة في اتجاه واحد، وتعطيه الفرصة للتوصل إلى أسرار اختلاف استعماله في الجمل، والأسرار المعنوية وراء هذا الاختلاف. وإنَّ الجمل القرآنية لتتفاوت في التوكيد، فيأتي بعضها مؤكَّدًا

بتوكيد واحد، ويأتي بعضها الآخر مؤَكَّدًا بتوكيدين أو أكثر، وهذا البحث سوف يمضي للحديث عن قضايا التفاوت في التوكيد.

ومع أن كثيرًا من الباحثين قد تطرق لموضوع التوكيد من عدة جوانب، إلا أنهم لم يتطرقوا إلى مسألة التفاوت في استعماله بين الجمل في بحث مستقل، الأمر الذي جعلني أقدِّم هذه الدراسة رجاء أن تسهم في إثراء المكتبة العربية بهذا النتاج الفكري الذي أسأل الله عز وجل أن ينفع به، وأن يضع له القبول عند علماء اللغة وأساطينها.

ومنهجي في هذه الدراسة هو استقراء المواضع التي ورد فيها التوكيد متفاوتًا بين الجمل في القرآن الكريم الذي يمثل أعلى مراتب الفصاحة والبيان، ثم تحليلها تحليلًا وصفيًا بحسب ما يقتضيه السياق للتوصل إلى الدقائق الدلالية التي تنساق وتنسجم مع قواعد اللغة العربية.

واقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على ثلاثة مباحث، تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة، فالمقدمة ذكرتُ فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج البحث وخطته، والمبحث الأول بيَّنتُ فيه مفهوم التفاوت في اللغة والاصطلاح، وذكرتُ نوعي التفاوت، وعرضتُ للفرق بينه وبين التساوي في التوكيد من جهة، وبينه وبين التخالف في التوكيد من جهة أخرى، وفي المبحث الثاني تحدثت عن تفاوت الجملتين في سياق واحد، وذكرتُ نوعيه، وأوردتُ في كلِّ نوعٍ الشواهد القرآنية التي توضحه، وأما المبحث الثالث فقد

جاء الحديث فيه عن تفاوت الجملتين في سياقين مختلفين، والحالات التي تُؤَكَّد فيها إحدى الجملتين توكيدًا زائدًا عن الأخرى، وذكرتُ الشواهد التي توضِّح كل حالة من هذه الحالات.

ومن أجل تحقيق هذه الخطة كانت مصادر البحث متعددة ومتنوعة، منها ما يتعلق بالتفسير ومنها ما يتعلق بالنحو، ومنها ما يتعلق بالبلاغة، ومنها المؤلفات القديمة ومنها المؤلفات الحديثة، وكلُّ هذه المصادر أسهمت في الوصول إلى نتائج خلص إليها الباحث وسجلها في خاتمة بحثه.

المبحث الأول: مفهوم التفاوت في التوكيد وأنواعه

التفاوت مأخوذ من الفوت، والفوت هو الفُرْجَة بين الشيئين، ثم انتقل المعنى لبيان ما يريد المرء أن يدركه ويحصل عليه، ولكنه لا يصل إلى ما يريد، وكأنّ ذلك الشيء قد تسرَّب من بين فُرْجة أصابعه، ولذا قيل: إنه يدل على خلاف إدراك الشيء والوصول إليه(١).

ويأتي التفاوت في اللغة بمعنى الاختلاف والتباين، قال الفيومي (٧٧٠هـ): ((تَفَاوَتَ الشيئان إذا اختلفا، وتَفَاوَتَا في الفضل تباينا فيه))(٢)، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم قال تعالى: قوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ ﴾ [سورة الملك:٣].

[المُلْك : ٣]، أي: ما ترى أيُّها الإنسان في خلق الله تعالى من اعوجاج ولا اختلاف، بل خلقه مستقيم ومستوٍ(٣)، وقال الشاعر(٤):

فحسْبُكُمُ هذا التَّفــاوتُ بيْنَنا ... وكلُّ إنــاءٍ بالذي فيهِ يَنْضَـــحُ

وتُضبَط عين التفاوت بالحركات الثلاث، فيقال: بين الشيئين تفاوُتٌ وتفاوَتٌ وتفاوِتٌ، قال الرازي (٦٦٠هـ): ((تَفَاوَتَ الشيئان تباعد ما بينهما تَفاوُتًا (بضم الواو) ونُقِل فيه فتح الواو وكسرها على غير قياس))(٥)، وقال

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٤/٤٥٧.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٤٨٢.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ٨/ ١٧٦.

(٤) البيت للحيص بيص في: معجم الأدباء ٣/ ٣٧٣.

(٥) مختار الصحاح ٥١٧.

السيوطي (٩١١هـ): ((ليس في كلامهم مصدر تَفَاعَلَ إلا على التفاعُل (بضم العين) إلا حرف واحد جاء مفتوحًا ومكسورًا ومضمومًا: تفاوَتَ الأمر تفاوُتًا وتفاوَتًا وتفاوِتًا وهو غريب مليح حكاه أبو زيد (٢١٥هـ))[١].

وأكثر ما يُذكَر التفاوت في الدرس النحوي في باب فعل التعجب واسم التفضيل، فقد ذكر ابن هشام (٧٦١هـ) أنهما لا يصاغان إلا مما استكمل بعض الشروط، من بينها ((أن يكون مما يقبل معناه التفاوت فلا يبنيان من نحو مات وفني؛ لأن حقيقتهما واحدة)) [٢].

ويُعرَّف التوكيد عند علماء البيان بأنه تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره فيه، وفائدته إماطة الشبهات وإزالة الشكوك عما يكون المتكلم بصدده[٣]. وهو من الموضوعات التي اهتم بها البلاغيون والنحويون اهتمامًا كبيرًا؛ وذلك لأهمية هذه الظاهرة ومكانتها بين الظواهر اللغوية والبلاغية الأخرى.

فالتفاوت إذًا في التوكيد هو الاختلاف الذي يحصل في التوكيد الداخل على الجمل؛ وذلك بأن تؤكَّد جملة مثلًا بمؤكِّدٍ واحد، وتؤكّد جملة أخرى بمؤكدين؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة

(١) المزهر في علوم اللغة ٢/ ٨٦.

(٢) شرح قطر الندى ٣٢٤.

(٣) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢/ ١٧٦.

الأنعام:١٦٥]، فإنَّ الجملة الأولى (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ) مؤكَّدة بمؤكِّدٍ واحد، هو (إنَّ)، والجملة الثانية (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) مؤكَّدة بمؤكِّدين، هما (إنَّ واللام).

ويكشف السيوطي سرَّ التفاوت في التوكيد، فيقول: ((ويتفاوت التوكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه))[1]، ويعني ذلك أنك إذا خاطبتَ شخصًا مترددًا أو شاكًا فإنه يكفيك أن تُؤكِّد له الخبر بمؤكِّد واحد؛ فتقول مثلًا: إنَّ زيدًا شجاعٌ، ثم إذا ظهر منه إنكار هذا الخبر فإنك تحتاج معه إلى توكيده بأكثر من مؤكِّد؛ فتقول له: إنَّ زيدًا لشجاعٌ، فإذا زاد من إنكاره زدتَ في توكيد الخبر؛ فتقول: واللهِ إنَّ زيدًا لشجاعٌ.

ويقف البحث هنا إلى أن قوة إنكار المخاطب وضعفه ليس هو السرَّ الوحيد الذي يدعو إلى التفاوت كما يبدو من قول السيوطي السابق، ولكن هناك أسرار أخرى أيضًا تضاف إلى هذا السرّ، سيكشف عنها البحث في أثناء الحديث عن الحالات التي يتفاوت فيها التوكيد بين الجمل القرآنية.

وقد استعمل القرآن الكريم التوكيد أدقَّ استعمال في جميع ما ورد من التراكيب بوضعه في الموضع المناسب، فهو في منتهى الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة والملائمة لما يقتضيه السياق. ولهذا قد توجد الجملتان في سياق واحد، فتؤكَّد إحداهما بمؤكِّد واحد، وتؤكَّد الأخرى بأكثر من مؤكِّد، وهذا ما دعا بعض العلماء للنظر في أسرار هذا التفاوت في التوكيد.

ويأتي التفاوت في التوكيد بين الجمل على نوعين:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٩٣.

١- تفاوت الجملتين في سياق واحد:

ويكون التفاوت بين الجملتين في سياقٍ واحد؛ بأن تكون الجملة الأولى أشدَّ توكيدًا من الجملة الثانية التي ترد بعدها؛ نحو قوله تعالى:قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المُؤْمِنُون : ١٥ - ١٦]، فالجملة الأولى مؤكَّدة بـ(إنَّ واللام)، والجملة الثانية مؤكَّدة بـ(إنَّ) من دون (اللام)، وقد يكون العكس فتكون الجملة الثانية أشدَّ توكيدًا من الجملة الأولى؛ نحو قوله تعالى:قوله تعالى: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ ﴾ [مُحَمَّد : ٣٠]، فقد أُكِّدت المعرفة بالسيما بمؤكِّدٍ واحدٍ وهو اللام، وأُكِّدت المعرفةُ بلحن القول بمؤكِّدين هما اللام الواقعة في جواب قسم مقدَّر، ونون التوكيد الثقيلة.

٢- تفاوت الجملتين في سياقين مختلفتين:

وهذا النوع من التفاوت تكون فيه الجملتان في الغالب متفقتين من حيث الألفاظ ولكن تختلف إحدى الجملتين عن الأخرى في التوكيد؛ نحو قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ [الأَنْعَام : ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأَعْرَاف : ١٦٧] ، فالجملتان وردتا في سياقين مختلفين ولكن أُكِّدت الجملة الأولى بمؤكِّد واحد وهو (إنَّ)، وأُكِّدت الجملة الثانية بمؤكِّدين هما (إنَّ واللام).

الفرق بين التفاوت والتساوي في التوكيد:

يُقصَدُ بالتفاوت في التوكيد -كما عرفنا سابقًا- أن تكون إحدى الجملتين أشدَّ توكيدًا من الأخرى، وأما التساوي في التوكيد فيُقصَدُ به أن تتفق الجملتان في عدد المؤكِّدات؛ نحو قوله تعالى:قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ ﴾ [فَاطِر : ١١]، فالجملة الأولى (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) جاء التوكيد فيها بحرف الجر الزائد (مِن)، وكذلك الشأنُ في الجملة الثانية (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) جاء التوكيد فيها بحرف الجر الزائد (مِن)، فأُكِّدتْ كلُّ جملة منهما بمؤكِّدٍ واحدٍ فقط.

وقد تؤكَّد كلٌّ من الجملتين بمؤكِّدين؛ نحو قوله تعالىقوله تعالى: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ } [الرَّعْد : ٦]، فالجملتان مؤكَّدتان بمؤكِّدين هما (إنَّ واللام). وقد جاء التساوي في هذه الآية بين الوعد (وهو المغفرة)، والوعيد (وهو العقاب الشديد)؛ ليعظم رجاء الناس في فضل الله عز وجل، ويشتدُّ خوفهم من عقابه وعذابه الشديد بدرجة متساوية؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضرّ، فاجتماع الخوف والرجاء أدعى للطاعة[1]، وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، والمؤمن يجعل الخوف والرجاء كجناحي الطائر، والجناحان للطائر إذا لم يكونا متساويين سقط، وإذا تساويا استطاع الطيران

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٤/ ٥.

في الجو، وكذلك المؤمن، إذا تساوى فيه الخوف والرجاء استطاع السير إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا اختلّ أحدُ الركنين اختلّ إيمانه.

وقد تُؤَكَّد جملةٌ في القرآن الكريم تبعًا لتأكيد ما قبلها من الجمل؛ ليتساوى التوكيد، وليكون السياق على نسقٍ واحد، مثال ذلك ما جاء ذكره في قصة سليمان عليه السلام عندما كان يتفقَّد الطير، فلم يجد فيها الهدهد، فانزعج لذلك، وأصدر قراره بأن يُعذِّب الهدهد، أو يذبحه إن كان غيابه من غير عذر، وإن أتى بحجة له فيها عذر ظاهر فإنه سينجو من العقاب، وعبَّر القرآن عن ذلك حكايةً عما قاله سليمان عليه السلام:قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة النمل:٢١]

فهذا السياق القرآني يُبيّن أنَّ سليمان عليه السلام حلف على أحد ثلاثة أشياء: اثنان منها فعلُهُ، وهو المتكلم، ولا إشكال في أن يؤَكِّد المتكلم ما سيفعله مستقبلًا، والثالث فعل الهدهد، وهو الغائب، وهذا مُشكِل، إذ كيف يحلف على فعلِ غيرِهِ مؤَكِّدًا أنه يأتيه مستقبلًا بحجة ظاهرة، ولم يقل: (أَوْ يَأْتِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) من غير توكيد؛ ولذلك قال الزمخشري (٥٣٨هـ): ((فإن قلت: قد حلف على أحد ثلاثة أشياء، فحلفُهُ على فِعلَيهِ لا مقال فيه، ولكن كيف صحَّ حلفُهُ على فعل الهدهد؟ ومن أين درى أنه يأتي بسلطان، حتى يقول: واللهِ ليأتيني بسلطان؟ قلتُ: لمَّا نظم الثلاثة بـ (أو) في الحكم الذي هو الحلف، آل كلامُهُ إلى قولك: ليكونَنَّ أحد الأمور، يعني: إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح، وإن لم يكن كان أحدهما، وليس في هذا ادّعاء دراية. على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله

بأنه سيأتيه بسلطان مبين، فثلَّث بقوله: أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ عن دراية وإيقان))[1].

وذهب الألوسي (١٢٧٠هـ) أنَّ الحلف أو القسم على فعل الهدهد في المستقبل إنما هو من باب التقابل، فقال: ((ثم إنَّ هذا الشقَّ [يعني قوله: أو ليأتيِنّي] وإن قُرِن بحرف القسم ليس مقسمًا عليه في الحقيقة، وإنما المقسم عليه حقيقة الأولان، وأُدخِل هذا في سلكهما للتقابل))[2]، وأجاز بعضهم أن يكون (أو) في (أو ليأتيِنّي) بمعنى إلَّا أن؛ كما في قولك: لألزمنَّك أو تعطيني حقي يعني إلا أن تعطيني حقي، فيكون المعنى: ليكون مني هذا العقاب إلا أن يأتيني بحجة ظاهرة تسوّغ غيابه[3].

وقد يتفاوت التوكيد في القرآن بين جملتين في موضع، ويتساوى بين هاتين الجملتين نفسيهما في موضع آخر؛ مثال ذلك ورد في سورة الأنعام قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأَنْعَام : ١٦٥]، ففي هذه الآية وقع التفاوت بين الجملة الأولى، وهي قوله: (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ)، والجملة الثانية، وهي قوله: (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)، فجاءت الجملة الأولى مؤكَّدة بمؤكِّد واحد، وهو (إنَّ)، وجاءت الجملة الثانية مؤكَّدة بمؤكِّدين، وهما (إنَّ) و(اللام).

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل ٣/ ٣٦٣.

(٢) روح المعاني ١٠/ ١٧٩.

(٣) ينظر: تفسير المظهري ١٠٨/٧.

وهاتان الجملتان ذُكِرتا أيضًا في سورة الأعراف ولكن كان التوكيد فيهما متساويًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة الأعراف:١٦٧] ، فكلتا الجملتين مؤكَّدة بمؤكِّدين، هما (إنَّ) و(اللام).

ولمعرفة السرِّ في كون الجملتين متفاوتتين في سورة الأنعام، ومتساويتين في سورة الأعراف ننظر في سياق كلٍّ منهما، ففي سورة الأنعام كان المقامُ مقامَ إحسانٍ وسعةِ فضلٍ وبشارة، وذلك في زيادة أجر المحسنين وعدم زيادة وزر المسيئين، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٦٠]، فناسب ذلك ترك التوكيد في جانب العقاب.

وأما في الأعراف فقد كان المقامُ مقامَ تخويفٍ وتهديدٍ بذكر عقاب الله وعذابه لليهود المعتدين على ما حرَّم الله عليهم في يوم السبت من صيد السمك وأكله، واستحلالهم ذلك، واحتيالهم على المحارم، قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِۘ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ

عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٦٣- ١٦٧] فناسب هذا المقامُ توكيدَ جانب العقاب بدخول اللام فيما دخلت عليه، وأُكِّد جانب الرحمة أيضًا على نحو ما أُكِّد جانب العقاب لئلا يُرجَّح جانب الخوف على الرجاء(١).

وقد ذهب الغرناطي (٧٠٨هـ) إلى أنَّ سرَّ اختصاص آية الأعراف بزيادة اللام المؤكدة في الخبر وسقوطها من آية الأنعام يعود إلى ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٦١]، وفيها ذكر ما منحه الله عز وجل لنبيه ﷺ إلى قوله: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الأَنْعَام : ١٦٥] ، فهذا له ﷺ ولأمته، فجاء الخبر من قوله: :{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ}[الأَنْعَام : ١٦٥]، بغير لام التأكيد مناسبًا للحال إذ هؤلاء المذكورون في قوله تعالى: قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ} [الأَنْعَام : ١٥٩] ليسوا كلُّهم ممن استحق عقاب الله عز وجل، ومن عوقب من أهل القبلة منهم فعقابه منقطع بفضل الله فليس هناك ما يحمل على التوكيد؛ لأن ذكر العقاب هنا تخويف يحمل المؤمن على استصحاب الرغب والرهب وما ينبغي للمؤمن أن يكون عليه، وأما آية الأعراف فقد ورد

(١) ينظر: البرهان في متشابه القرآن ١١٥- ١١٦.

قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ، وقد تقدم ذكر المقصودين بهذا الوعيد وذكر مرتكباتهم السيئات فتخلَّصت الآية للمستحقين العقاب بمجترحاتهم المفصحة بكفرهم فناسب تأكيد الخبر المنبئ بعقابهم وسوء مآلهم وجاء كل على كما يجب ويناسب(١).

وقال ابن جماعة (٧٣٣هـ) يتحدث عن ترك التوكيد باللام في آية الأنعام: ((لمَّا تقدم ما يؤذن بالكرم والإحسان في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام:١٦٠]، ناسبَ تركَ التوكيد في جانب العقاب. وفي الأعراف لمَّا تقدم ما يؤذن بغضب الله وعذابه من اتخاذهم العجل، وحلّ السبت، ناسب توكيد جانب العذاب بدخول اللام)) (٢).

وذكر الزركشي (٧٩٤هـ) آية الأعراف السابقة، ثم قال: ((والفرق بين هذه الآية وآية الأنعام حيث أتى هنا باللام فقال: (لَسَرِيعُ العِقَابِ) دون هناك، أنَّ اللام تفيد التوكيد فأفادت هنا تأكيد سرعة العقاب لأن العقاب المذكور هنا عقاب عاجل وهو عقاب بني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ؛ لأنه في سياق قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، فتأكيد السرعة أفاد بيان التعجيل وهو مناسب بخلاف العقاب المذكور في سورة الأنعام فإنه أُجِّل بدليل قوله:

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ١/ ١٧٦.

(٢) كشف المعاني ١٧٣.

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾، فاكتفى فيه بتأكيد إنَّ ولمَّا اختصت آية الأعراف بزيادة العذاب عاجلًا اختصت بزيادة التأكيد لفظا بـ (إنَّ) واللام))[1].

وتحدَّث ابن عادل (٨٨٠هـ) عن سرِّ توكيد سرعة العقاب باللام في سورة الأعراف، وترك التوكيد بها في سورة الأنعام، فقال: ((ولم يُؤَكَّد سرعة العقاب بذلك هنا، وإن كان قد أُكِّد ذلك في سورة الأعراف؛ لأن هناك المقامَ مقامُ تخويفٍ وتهديدٍ بعد ذكر قصة المعتدين في السبت وغيره، فناسب تأكيد العقاب هناك))[2].

وفي رأيي أنَّ المؤَكِّدات الداخلة على الغفور الرحيم اثنان هما (إنَّ) و(اللام) في (غفور)، وليست ثلاثة، فجعلُهُ الرحيمَ توكيدًا لفظيًا ثالثًا بعيد؛ لأنها تختلف عن كلمة الغفور لفظًا، وهي ليست مثل التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ [سورة فاطر:٢٧]، أو قوله تعالى: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [سورة الأنعام:١٢٥]، إذ إن بين غرابيب وسود ترادفَ في المعنى، كما أن بين (ضيِّقًا) و(حرجًا) ترادفَ أيضًا.

ويرى فاضل السامرائي أن سرَّ التفاوت في التوكيد بين الآيتين في سورتي الأنعام والأعراف يعود إلى أن آية الأنعام ذُكِرت في سياق العقوبات

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٦٥- ٦٦.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٨/ ٥٤٠.

الآجلة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، وأن الآية في الأعراف ذُكِرت في سياق العقوبات العاجلة في الدنيا، فهي تتحدَّث عن معصية أصحاب السبت وتعذيب الله عز وجل إياهم بمسخهم قردة صاغرين ذليلين، وذلك عقوبة لهم على معصيتهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأعراف:١٦٧]، فلمَّا عجَّل لهم العقوبة في الدنيا في سورة الأعراف أَكَّد سرعة العقاب بـ (إنَّ) واللام، ولما أمهلهم إلى يوم القيامة في سورة الأنعام قلَّل توكيد سرعة العقاب؛ لأنه لم يسرع في عقوبتهم بل أمهلهم(١).

(١) ينظر: التعبير القرآني ١٦٦- ١٦٧.

الفرق بين التفاوت والتخالف في التوكيد:

هناك فرقٌ بين التفاوت في التوكيد والتخالف فيه، فالتفاوت في التوكيد -يعني كما مرَّ- أن تكون في السياق جملتان مؤكَّدتان ببعض أدوات التوكيد، غير أنَّ إحداهما أشدُّ توكيدًا من الأخرى، وأما التخالف في التوكيد فهو أن تكون إحدى الجملتين مؤكَّدةً، والأخرى خاليةً من التوكيد، وهناك أمثلة متعددة للتخالف ذُكِرت في القرآن الكريم، وأذكر هنا بعضها لتوضيح هذا المصطلح:

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾. [سورة لقمان:٣٣].

ففي هذه الآية يأمر الله سبحانه وتعالى الناس بتقواه وخشية يوم القيامة، وهو اليوم الشديد الذي لا ينفع فيه الوالِدُ ولَدَهُ، ولا ينفع المولودُ والِدَهُ، ويسترعي انتباهَنَا في الآية التخالفُ الموجودُ بين جملة (لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ)، وجملة (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا)، لا من حيث كون الجملة الأولى فعلية، والثانية اسمية فحسب، بل من حيث كون الجملة الأولى خالية من التوكيد، وكون الجملة الثانية مؤكدة بضمير الفصل (هو).

وقد بيَّن بعض العلماء السرَّ الكامن وراء هذا التخالف، فذهب الزمخشري إلى أن سرَّ التوكيد في الجملة الثانية دون الأولى يعود إلى أنَّ الخطاب في هذه الآية للمؤمنين وغالبهم مات آباؤهم على الكفر فأريد حسم

أطماعهم وأطماع الناس فيهم: أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً[1].

وذهب جماعة من العلماء إلى أنَّ سرَّ التوكيد في الجملة الثانية هو أنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا أوصى الأولادَ بآبائهم، وقَرَنَ شكرَهم بشكرِهِ عزَّ وجل حين قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان:١٤]، قد يتوهَّم بعض الآباء أنَّ ولده يوم القيامة يمكن أن يغني عنه شيئًا، فقَطَعَ الله عز وجل عنهم هذا الوهم، بخلاف الابن فإنه لا يقع في وهمه غالبًا أن والدَهُ يغني عنه شيئًا، ولـمَّا كان إجزاء الولد وإغناؤه عن والده قد يقع في الأوهام أُكِّد نفيه لإزالة هذا الوهم[2].

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال:٣٣].

بيَّن الله عز وجل في هاتين الآيتين حماقة الكفار في ردِّهم الحقَّ الذي جاء به النبي ﷺ، فهم قد اختاروا لأنفسهم أحد أمرين إن كان هذا الذي جاء به محمد ﷺ هو الحق؛ إما أن يهلكهم الله عز وجل عن طريق إنزال الحجارة من السماء، وإما أن يأتيهم بعذاب أليم من عنده، ولو عاجلهم الله

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل ٣/ ٥١١.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/٢١٨، وروح المعاني ١١/ ١٠٥

عز وجل بالعقاب لما أبقى منهم باقية، ولكنه تعالى لم يستجب لهم مع استحقاقهم العذاب، وانعقاد أسبابه للأمرين الآتيين:

١- كون الرسول ﷺ موجودًا فيهم، فجُعِل وجودُهُ ﷺ أمنةً من العذاب.

٢- كونهم يستغفرون، وقد بيَّن الألوسي المرادَ بالاستغفار في هذه الآية، فذكر عدة أوجه، أقواها في نظري: أنَّ الكفار يدعون الله عز وجل بالمغفرة، فقد كانوا يقولون في دعائهم: غفرانك، فجَعَلَ اللهُ عز وجل دعاءَهم أمنةً لهم من عذاب الدنيا(١)، وقال عبد الرحمن السعدي (١٣٧١هـ): «وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على رؤوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون الله تعالى؛ فلهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٢).

وهذان الأمران اللذان كانا سببين لدفع العذاب عن الكفار لم يؤدَّيا بأسلوب واحد، أعني بذلك أن الجملة الأولى أُكِّد فيها النفي، ولم يؤكَّد في الجملة الثانية.

ولهذا التخالف سرٌّ عجيب يكشفه بعض العلماء منهم أبو حيان (٧٤٥هـ) والألوسي، فأبو حيان قال عقب هذه الآية: «انظُر إلى حُسن مساق هاتين الجملتين لمَّا كانت كينونته فيهم سببًا لانتفاء تعذيبهم أُكِّد خبرُ كان باللام على رأي الكوفيين، أو جُعِلَ خبرُ كان الإرادة المنفية على رأي البصريين وانتفاء الإرادة للعذاب أبلغ من انتفاء العذاب، ولمَّا كان استغفارهم

---

(١) ينظر: روح المعاني ٥/ ١٨٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٣٢٠.

دون تلك الكينونة الشريفة لم يؤكَّد باللام، بل جاء خبرُ كان قوله: (معذبهم)، فشتّان ما بين استغفارهم وكينونته ﷺ فيهم))[1].

وقال الألوسي موافقًا أبا حيان، وذاهبًا مذهبه: ((ويظهرُ لي من تأكيد النفي في الجملة الأولى وعدم تأكيده في الجملة الثانية أنَّ كون النبي ﷺ فيهم أدعى حكمة لعدم التعذيب من الاستغفار))[2].

- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ [سورة الشعراء:٨١].

ذَكَرَتْ هذه الآيات ما قاله إبراهيم عليه السلام لقومه مبيّنًا أنَّ الله عز وجل هو المستحق للعبادة؛ لأنه هو المنفرد بنعمة الخلق، ونعمة الهداية، وهو المنفرد أيضًا بالإطعام، والإسقاء، والشفاء، والإماتة والإحياء؛ وليست كذلك الأصنام التي يعبدونها من دون الله عز وجل، فهي لا تفعل من ذلك شيئًا.

وإذا أنعمنا النظر في السياق القرآني وجدنا بعضَ الجمل أُكِّدت بتقديم المسند إليه (هو) على خبره الفعلي فأفاد هذا التقديم القصر وهو قصر صفةٍ على موصوف، قصرٌ إضافيٌّ على سبيل القلب، أي: هو يهديني ويطعمني ويسقيني ويشفيني لا غيره، وبعضها لم تُؤكَّد بذلك، وقد بيَّن بعض العلماء سرَّ هذا التخالف، وهو أنه لمَّا كان الخلق، والإماتة، والإحياء لا يمكن أن يدَّعي أحدٌ أنها من شؤون الأصنام لم تُؤكَّد هذه الجمل بتقديم المسند إليه، فلم

(١) تفسير البحر المحيط ٤/٤٨٣.

(٢) روح المعاني ٥/ ١٨٨.

يكن التركيب: الذي هو خلقني، والذي هو يميتني، ثم هو يُحيين، ولمَّا كانت الهداية، والإطعام، والسقي، والشفاء، يمكن أن يُدَّعَى أنها من عمل الأصنام، أو أن الأصنام تُشارك الله تعالى فيها أُكِّدت هذه الأفعال بتقديم المسند إليه (هو)[1].

- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ [سورة الحشر:١١].

ذكر الله عز وجل حال المنافقين مع بني النضير، وتغريرهم إياهم بالوعود الكاذبة، إذ وعدوهم بأن يخرجوا معهم إن أُخرِجُوا، وألَّا يطيعوا أحدًا من المسلمين في شأنهم، وهنا نجد التخالف واضحًا في كون وعد المنافقين لبني النضير بالخروج معهم جاء مؤكَّدًا بلام القسم، ونون التوكيد الثقيلة، وأما وعدهم بعدم طاعة المسلمين فيهم فلم يُؤَكَّد بأيَّة أداة من أدوات التوكيد.

وكما أن التفاوت قد يكون في سياق واحد أو في سياقين كذلك التخالف قد يكون في سياق واحد كالأمثلة السابقة أو في سياقين؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٢]، وقوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٦٩]، فقد أُكِّدت آية الأنعام باللام الداخلة على كلمة (الدار) في أولها، وخلت آية الأعراف من التوكيد.

---

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط ٢٢/٧

ولعلَّ السرَّ في ذلك يعود إلى أن السياق في آية الأنعام هو عن الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ [سورة الأنعام:٣٢].

وليس كذلك السياق في آية الأعراف، بل هو في العقوبات الدنيوية لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [سورة الأعراف:١٦٦] ، فلمَّا كان الكلام في آيات الأنعام على الدَّار الآخرة أَكَّدَها باللام، ولمَّا كان الكلام في آيات الأعراف على عقوبات الدنيا لم يُؤَكِّدها باللام(١).

ومثاله أيضًا قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [سورة النحل:٢٩]، وقوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [سورة الزمر:٧٢]، وقوله: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [سورة غافر:٧٦]، فقد أدخل (اللام) في آية النحل على

(١) ينظر: ملاك التأويل ١/١٥٧، ومعاني النحو ١/ ٣١٦، ٣١٧.

(بئس)، فقال: (فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) دون الآيتين الأخريين إذ قال فيهما: (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ).

وذلك أنه في سورة النحل وَصَفَ قومًا أشدَّ كفرًا وأكبر جرمًا من المذكورين في آيتي الزمر وغافر، وذلك أنهم ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، وحملوا من أوزار الذين يضلونهم، فزاد عذابهم، وهؤلاء كانوا إذا سألهم أتباعهم عن القرآن قالوا لهم: ليس من عند الله، وإنما هو أساطير الأولين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل:٢٥].

فهم إذًا أكثر الناس آثامًا وأشدهم عذابًا، ولزمهم وزران عن ذنوبهم التي أتوها وعن ذنوب غيرهم التي حصلوا عليها بسبب إضلالهم لهم، ومن هذا صفته اختير عند تغليظ العذاب له إلى المبالغة في التوكيد، فناسب ذلك زيادة اللام لتوكيد العذاب لهم بخلاف المذكورين في الآيتين الأخريين، فإنه لم يصفهم بمثل هذا الوصف، والكلام فيهما إنما في ذكر جملة الكفار، قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [سورة الزمر:٧١] ، وقال في سورة غافر: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة غافر:٧٠]، فلم يذكر فيهما أن هؤلاء الكفار يحملوا أوزارًا مع أوزارهم(١).

(١) ينظر: درة التنزيل ٢٦٢- ٢٦٣.

ومن جهة أخرى أنَّ الله عز وجل أفاض في سورة النحل في وصف الكفار ما لم يفضه في السورتين الأخريين، فناسب ذلك أيضًا ذكر اللام والزيادة في التوكيد، إذ كما زاد وتبسَّط في الوصف زاد في التوكيد؛ لأنه هو المناسب لمقام التبسيط والإفاضة(١).

ومن الأمثلة أيضًا على التخالف في سياقين مختلفين قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [سورة البقرة:١٤٧] ، وقوله: {ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ } [سورة آل عمران:٦٠]، فقد أَكَّد الفعل (تكون) في آية البقرة؛ لأنَّ المقام يقتضي توكيده، ولم يُؤكِّده في آية آل عمران؛ لأن المقام لا يقتضي توكيده، فالمقام في سورة البقرة في تبديل القبلة، وما صحب ذلك من إرجاف وأقاويل وإعلان حرب نفسية على المسلمين حتى ارتدَّ بعض ضعاف الإيمان، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [سورة البقرة:١٤٢]، وقال: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ ﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

ثم ذكر لنبيه ﷺ أنَّ أهل الكتاب لن يتوجَّهوا إلى قبلة المسلمين مهما جاءهم بالآيات البينات والحجج الواضحات، فقال مؤكدًا بالقسم:

(١) ينظر: التعبير القرآني ١٢٦.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ﴾ [سورة البقرة:١٤٥].

ثم قرَّر أنَّ هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، فاحتاج كلُّ ذلك إلى التوكيد، فقال: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ).

وأما في آل عمران فليس الأمر كذلك، فقد قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [سورة آل عمران:٦٠].

ففي آيات البقرة من الإرجاف والفتنة ما ليس في آيات آل عمران، فاحتاج المقام في البقرة إلى التوكيد بخلاف آل عمران.

التفاوت في توكيد الخبر للمخاطب:

يهمُّنا في الحديث عن التفاوت في إلقاء الخبر نوعان من المخاطبين، هما المخاطب المتشكِّك، والمخاطب المنكِر؛ لأنَّ كليهما يُلقَى عليهما الخبرُ مؤَكَّدًا، أما المخاطب العادي (وهو غير المتشكك أو المنكِر)، فلا يحتاج الخبر معه إلى التوكيد، ولهذا لستُ بحاجةٍ للحديث عنه في مجال التفاوت.

فالمخاطَبُ المتشكِّك أو المتردِّد يحتاج إلى توكيد الكلام بتوكيدٍ واحد؛ نحو قوله تعالى: {﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ} [سورة الزمر:٥٣]. فإنَّ المخاطب هنا قومٌ من المسلمين أسرفوا على أنفسهم في الجاهلية بفعل المعاصي والموبقات، فخافوا

ألَّا يَتقبَّل اللهُ منهم أعمالهم بسبب ذنوبهم التي ارتكبوها[1]، فهم لا ينكرون الغفران؛ لأنهم مؤمنون، وإنما نُزِّلوا منزلة السائل المتردِّد: هل يغفر الله لنا وقد فعلنا ما فعلنا من القتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب والخطايا والسيِّئات؟ ولذا حسُنَ التوكيد هنا بمؤَكِّدٍ واحد في قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا).

وأما المخاطب المُنكِر فإنه يحتاج إلى توكيد الكلام بتوكيدين أو أكثر؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سورة سبأ:٣]، فالكفار المخاطَبُون في هذه الآية مُنكِرون قيامَ الساعة، ولهذا جاء الردُّ عليهم وفيه من وسائل التقوية والتوكيد ما يدفع عنهم إنكارهم، ويدعوهم إلى الإقناع والتسليم.

وذكر الزركشي في بيان الفرق في إلقاء الخبر على المخاطَبِ المتشكِّك، والمخاطَبِ المُنكِر، بأنَّ المخاطَبَ إذا كان متشكِّكًا حسُنَ تقوية الكلام له بمؤَكِّد واحدٍ، وإن كان منكِرًا وجب توكيده بمؤَكِّدٍ أو مؤَكِّدين أو ثلاثة، ويُراعَى التوكيد في القوة والضعف بحسب حال المنكِر[2]؛ فإذا كان المُنكِر إنكاره يسيرًا اكتُفي بتوكيد الخبر له بمؤَكِّد أو مؤَكِّدين، وإن كان توكيده عظيمًا أُكِّد له الخبر بثلاثة مؤكدات أو أكثر.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢١/ ٣٠٧.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٣٩٠.

وأوضحُ مثالٍ على التفاوت في إلقاء الخبر للمُنكِر في القرآن الكريم ما جاء في سورة (يس) في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة يس:١٧].

ومعنى الآيات: واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومِكَ الرادّين لدعوتك مثلًا يعتبرون به، وهو قصة أهل قرية (أنطاكية)، حين ذهب إليهم المرسلون، إذ أُرسِل إليهم رسولان لدعوتهم إلى الإيمان بالله وتركِ عبادة غيره، فكذَّب أهلُ القرية الرسولين، فعُزّزا وقُوّيا برسولٍ ثالث، فقال الثلاثةُ لأهل القرية: إنَّا إليكم -أيها القوم- مرسلون.

قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناسٌ مثلُنا، وما أنزل الرحمنُ شيئًا من الوحي، وما أنتم -أيها الرسل- إلا تكذبون، قال المرسلون عندئذٍ: ربُّنا الذي أرسلنا يعلم إنَّا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده(١).

فخطاب المُرسَلِين لأصحابِ القريةِ اختلفَ في أول أمره عن آخره، ففي أول الأمر قالوا لهم: (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ)، فاستعملوا توكيدًا واحدًا فقط؛ لأن المخاطَبِين (وهم أصحابُ القرية) كانوا مُكذِّبين لهم، والتكذيب يُعَدُّ من

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل ١٠/٤، وتفسير القرآن العظيم ٥٦٨/٦، ٥٦٩.

الإنكار، ثم لـمَّا زاد تكذيبهم وأنكروا أن يكون هؤلاء الثلاثةُ مُرسَلِينَ إليهم؛ إذ هم بشرٌ مثلُهُم، وأنكروا أيضًا أن يكون اللهُ عز وجل قد أنزل عليهم شيئًا، لـمَّا أنكروا كلَّ ذلك جاء الخطابُ معزَّزًا بأكثر من توكيد: (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)، فأصحابُ القريةِ إذًا جاء خطاب المرسلين لهم متفاوتًا في التوكيد، وكلُّ توكيدٍ يتناسب مع المقام الذي قيل فيه؛ وكما قيل: لكلِّ مقامٍ مقال، قال فاضل السامرائي: «ألا ترى كيف أكَّدَ الكلام أولًا، بـ(إنَّ) دون (اللام): (إنَّا إليكُمْ مُرسَلُون) ثم لـمَّا اشتدَّ التكذيب، احتاج الأمر إلى توكيد [آخر]، فقال: (ربُّنا يَعْلَمُ إنَّا إليكُم لَمُرْسَلُونَ)، فأكَّدَهُ بـ(إنَّ) و(اللام)»[1].

وقد كان الاهتمام الأكبر في الدراسات اللغوية والبلاغية القديمة بالمخاطَبِ عند الحديث عن توكيد الجمل، وفي رأيي أنَّ توكيد الجمل، لا يقتصر على المخاطَب وحده، بل قد يكون التوكيد قائمًا على المتكلِّم نفسه، مثالُ ذلك قولُ إخوةِ يوسُفَ لِيُوسُفَ عليه السلام: {قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ} [سورة يوسف:٩٠] ، فهل المخاطَب (وهو يوسف عليه السلام) مُنكِرٌ أنه يوسف حتى يُؤَكَّد له الكلام بمؤَكِّدين؟!، لا، إنما كان إخوةُ يوسف –وهم المتكلِّمون– متعجبين أشدَّ التعجُّب ومستنكرين أشدَّ الاستنكار أن يكون هذا الذي أمامهم يوسُفَ أخاهم، لهذا ظهر تعجُّبُهم الشديدُ في استفهامِهِم مع توكيده، فالاستفهام يدلُّ على الاستعظام، والتوكيد يرفع هذا الاستعظام والتعجُّب إلى أشُدِّه عند المتكلِّم، وليس عند المخاطَب، قال ابن كثير

(١) معاني النحو ١/ ٢٥٧.

(٧٧٤هـ): ((الاستفهام يدلُّ على الاستعظام أي: إنَّهم تعجَّبوا من ذلك أنَّهم يتردَّدُون إليه من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتمُ نفسه, فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام: (أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ))[1].

ثم إنَّ يوسُفَ في ردِّه عليهم لم يستعمل التوكيد، فلم يقل لهم مثلًا: إني أنا ليوسُف، وإنَّما ﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ ﴾ [سورة يوسف:٩٠]، وهذا الجواب أيضًا انطلقَ بناءً على المتكلِّم وليس على المخاطَب؛ إذ لو بُنِي على المخاطَبِ لأُكِّد هنا بأكثر من توكيد.

كذلك قد يكون التوكيد بأكثر من مؤكِّد، ليس للمخاطب المُنكِر، بل قد يكون للمتكلِّم المقرّ؛ فمن ذلك قولُ الغاوين للذين يعبدونهم من دون الله تعالى، وهم في الجحيم يختصمون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء:٩٨]، فقد حلفوا بالله مُقرّين ومعترفين بأنهم كانوا على باطلٍ حين كانوا يعدلونَ معبوداتِهم برب العالمين، فجاء الكلام هنا مؤكَّدًا بأكثر من توكيد، وهو ليس موجهًا إلى مخاطَبٍ مُنكِرٍ، بل هو موجَّهٌ من متكلِّمٍ مُقرٍّ ومعترفٍ بما كان عليه في الدنيا من الزيغ والضلال.

ومما يوضِّح أيضًا أن التوكيد قد يكون للمتكلم المقرِّ لا المخاطَب المُنكِر، ما جاء من قول إخوة يوسف لأخيهم يوسف عليه السلام، وهم يعترفون له مؤكِّدين اعترافهم بأشدِّ ما يكون عليه التوكيد،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٤٠٨.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [سورة يوسف:٩١] ، فقد اعترفوا ليوسف عليه السلام بالفضل والإيثار عليهم، وأقرُّوا له بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا في حقه، وكان اعترافُهم هذا مؤكَّدًا وليس ممزوجًا بالشك والرَّيب والإنكار.

وقد يكون التوكيدُ صادرًا من المتكلم ليبيّن الجُهد الذي سيبذله في إنجازِ عملٍ ما، ومن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى حاكيًا ما قاله إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة الحجر:٣٩]، فالتوكيد هنا بالنظر إلى المتكلم، وهو إبليس الذي يرى أنه سيبذل قصارى جهده في التزيين والإغواء، قال الشنقيطي (١٣٩٣هـ): ((ذَكَرَ تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ إبليس أخبر أنه سيبذل جهده في إضلال بني آدم حتى يضلّ أكثرهم))(١).

ونستنتج من ذلك أنك إذا قلت: لأذاكرنَّ دروسي حتى أتفوق على أقراني، فإنَّ هذا ليس كقولك: سأذاكر دروسي حتى أنجح في الامتحان، فالجملة الأولى تدلُّ على أنك ستبذل جهدًا غير عادي في المذاكرة، ولهذا كانت الغاية من المذاكرة في الجملة الأولى التفوق، وهو أسمى من الغاية في الجملة الأخرى، التي الغاية منها النجاح، وكلُّ هذا التوكيد مُنْطَلَقُه من المتكلم وليس من المخاطَب.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٦/ ٥٠.

ويظهر من هذا أنَّ الدراسات اللغوية والبلاغية القديمة أولت عنايةً خاصةً بالمخاطَبِ، ولم تلتفت إلى المتكلِّم كثيرًا، وقد آن الأوان أن يُنظر إلى المتكلم في الدراسات اللغوية الحديثة بما تسمحُ به اللغةُ من الاستعمالات والمقاصد المختلفة التي تُعالِج القضايا اللغوية للمتكلم العادي أو المتكلم المعظم نفسه.

المبحث الثاني: تفاوت الجملتين في سياق واحد

يأتي التفاوت بين الجملتين في سياقٍ واحد على نوعين: النوع الأول: تكون الجملة الأولى فيه أشدَّ توكيدًا من الجملة الثانية، والنوع الثاني: تكون فيه الجملة الثانية أشدَّ توكيدًا من الجملة الأولى، وسأتطرق هنا للحديث عن النوعين:

١- الجملة الأولى أشدُّ توكيدًا من الجملة الثانية:

فممَّا ورد من ذلك في القرآن الكريم قولُهُ تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٦]، فاللهُ سبحانَهُ وتعالى يبيّن في هاتين الآيتين ما قدَّره على العباد من المراحل التي يمرُّون بها قبل المصير إلى الجنة أو النار، وهي مرحلة الموت، ومرحلة البعث، فجاءت الجملة الأولى، وهي جملة الموت مؤكَّدة بـ(إنَّ واللام) مع أنَّ الموتَ مُشاهَدٌ لا يُنكِره أحدٌ، وجاءت الجملة الثانية، وهي جملة البعث مؤكَّدة بـ(إنَّ) من دون (اللام) مع أنه غيبٌ، وقد أنكرته بعض الطوائف واستبعدته.

واختلف العلماء في بيان سرِّ هذا التفاوت بين هاتين الجملتين من حيث التوكيد، فذهب ابن تيمية (٧٢٨هـ) إلى أنَّ السرَّ في ذلك يعود إلى أنَّ المقصود بذكر الموت والبعث في هاتين الآيتين هو الإخبار بالجزاء والمعاد، ولمَّا كان أولُ ذلك هو الموت أُكِّد بـ(اللام) مع (إنَّ)، ولم يؤكَّد البعث بـ(اللام) لأنه يأتي بعد الموت، وفي الموت أيضًا تنبيهٌ على قهر الإنسان

وإذلاله، فبعد هذا الخلقِ كلِّه والمراحل التي يمرُّ بها الإنسان، سيموت لا محالة[1].

وأما أبو حيان فقد ذهب إلى أنه بولغ في توكيد الموت تنبيهًا للإنسان أن يكون الموتُ نصبَ عينيه ولا يغفل عن ترقبه، فإنَّ مصيره إليه؛ لذا أُكِّدت جملتُه بأكثر من تأكيدٍ لهذا المعنى؛ لأنَّ الإنسانَ في الحياة الدُّنيا يسعى فيها غاية السعي، فينسى الموت حتى كأنه مخلَّدٌ فيها، فنُبِّه بذكر الموت مؤَكَّدًا مبالغًا فيه ليقصر، وليعلم أن آخره إلى الفناء، فيعمل لدار البقاء، ولم تُؤَكَّد جملة البعث إلا توكيدًا واحدًا؛ لأنه أُبرِزَ في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع، ولا يقبل إنكارًا، وأنه حتمٌ لا مفرَّ من حصولِهِ ووقوعِهِ فلم يحتَجْ إلى توكيدٍ ثانٍ[2].

وقال السمين الحلبي (٧٥٦هـ): ((فإن قيل: الموتُ لم يَخْتَلِفْ فيه اثنان، وكم مِنْ مخالفٍ في البعثِ، فلِمَ أُكِّد المُجْمَعُ عليه أبلغَ تأكيدٍ، وتُرِك المختلَفُ فيه من تلك المبالغةِ في التأكيد؟ فالجواب: أنَّ البعثَ لـمَّا تظاهَرَتْ أدلتُه، وتضافَرَتْ أُبْرِزَ في صورةِ المُجْمَعِ عليه المستغني عن ذلك، وأنَّهم لَمَّا لم يعملوا للموتِ ولم يهتموا بأمورِه نُزِّلوا منزلةَ مَنْ يُنكره، فَأَبرَزَهُم في صورةِ المُنْكِرِ الذي استبعده كلَّ استبعادٍ))[3].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١٦/٢٧٨- ٢٧٩.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ٢٥٣.

(٣) الدر المصون ٨/٣٢٥.

فالإنسان كثيرًا ما ينشغل بالحياة، ويتلهَّى بأمورها عن ذكر الموت مع وجود علاماتِهِ ودلائلِهِ المشاهدة، فصار بذلك كالمُنكِر للموت في أعماله، وإن لم يكن مُنكِرًا له في عقله ولسانه، فنُزِّل منزلةَ المُنكِر له غير المُقرِّ به، فأُكِّد الموتُ تأكيدَ المُنكِرين؛ لينتبهَ الإنسانُ وينكفَّ عن نسيان حقيقةِ الموت الذي سيطاله في يومٍ من الأيام، ولهذا جاء في تفسير القرطبي (٦٧١هـ) أنَّ عمر بن عبد العزيز كان يقول: ((ما رأيتُ يقينًا أشبهَ بالشكِّ من يقينِ الناس بالموتِ، ثم لا يستعدُّون له))[١].

وذكر الزركشي في حديثه عن الآيتين السابقتين أنَّ غير المُنكِر قد يُنزَّل منزلة المُنكِر، كما أنَّ المُنكِر قد يُنزَّل منزلة غير المُنكِر، فقال: ((أُكِّدت الإماتة تأكيدين، وإن لم يُنكِروا؛ لتنزيل المخاطَبِين لتماديهم في الغفلة منزلة من يُنكِر الموت، وأُكِّد إثباتُ البعث تأكيدًا واحدًا، وإن كان أكثر؛ لأنه لمَّا كانت أدلتُهُ ظاهرةً كان جديرًا بألَّا يُنكَر ويُتردَّد فيه؛ حثًّا لهم على النظر في أدلته الواضحة))[٢].

وذهب الألوسي إلى أنه لم يُؤَكَّد أمرُ البعثِ توكيدَ الموت مع كثرة المنكرين له اكتفاءً بتقديم ما يغني في الآيات السابقة عن كثرة التوكيد، فقد ذكر اللهُ سبحانَهُ وتعالى أنه خَلَقَ الإنسانَ من سلالةٍ من طين، ثم نقله من طور إلى طور حتى جعله خلقًا آخر، وهذا الأمرُ يدلُّ على حكمة الله عز وجل وعظيم قدرته على بعث الإنسان وإعادته، وأنه سبحانه لا يهمل أمره،

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/٦٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٣٩١، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٩٤.

فلا يتركه بعد موتِهِ نسيًا منسيًا كأن لم يكن شيئًا مذكورًا، ولمَّا تضمنت الآيات السابقة المبالغة في أنه تعالى شأنه أحكم خلق الإنسان وأتقنه غايةَ الإتقان بالغ القرآن الكريم في توكيد الجملة الدالة على موت الإنسان مع أنه غيرُ مُنكر(١).

واستحسن الألوسي رأيًا آخر في بيان هذا التفاوت في التوكيد، فقال: ((وربما يقال: إن شدة كراهة الموت التي لا يكاد يسلم منها أحدٌ نُزِّلت منزلة شدة الإنكار، فبولغ في تأكيد الجملة الدالة عليه، وأما البعث فمن حيث إنه حياةٌ بعد الموت لا تكرهه النفوس، ومن حيث إنه مظنَّة للشدائد تكرهه، فلمَّا لم يكن حالُهُ كحال الموت ولا كحال الحياة، بل بَيْنَ بَيْنَ أُكِّدَت الجملةُ الدالةُ عليه تأكيدًا واحدًا))(٢).

وفصَّل فاضل السامرائي الحديث في هذه المسألة، فذكر عدة أسرار لهذا التفاوت، بعضُها تَبِعَ فيه من سبقه ممَّن ذكرهم، وبعضُها اجتهد هو فيها، ومن هذه الأسرار التي ذكرها(٣)، ولم يأتِ ذكرُها فيما سبق:

١- أنَّ الإعادة أهونُ من الابتداء في منطق العقل؛ لذا أَكَّد سبحانه وتعالى الابتداء بمؤَكِّدين، فقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [سورة المؤمنون:١٢]، فأكَّده بـ(اللام) و(قد)، وأكَّد الإعادة بمؤَكِّدٍ واحدٍ، فقال:

---

(١) ينظر: روح المعاني ٩/ ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ينظر: لمسات بيانية ٨٨-٩٢.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٦] ، فأكَّدها بـ(إنَّ) وحدها.

٢- أنَّ الآية الدالة على البعث لم تَرِد في سياق المُنكِرين له، بل هي في سياق المؤمنين الوارثين للفردوس، فلا يقتضي ذلك توكيدَ البعث كتوكيده للمُنكِرين؛ لأنَّ المؤمنين يؤمنون بأنَّ الله عز وجل يبعث من في القبور، ولـمَّا كان المؤمنُ قد تَعرِضُ له غفلةٌ ينسى فيها الموت في زحمة أعماله، احتاج إلى من يذكِّره بالموت مؤكَّدًا أشدَّ التوكيد، ولهذا ورد في الحديث الشريف: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ))(١).

٣- أُكِّد الموتُ هذا التوكيدَ للدلالة على أنَّ الإنسان لا يتمكَّن من الخلود في الدنيا مهما بذل من جهد في سبيل ذلك، ففي هذا التوكيد الزائد إشعارٌ بأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى ما يخلِّده، فإنْ حاول ذلك فإنَّ محاولاته ستبوء بالفشل.

٤- أنَّ الموت يستدعي التأمُّلَ والنظر، ذلك أنَّ الله تعالى في مقدوره ألَّا يجعل الإنسان يموت في هذه الدنيا، ولو قُدِّر ذلك لكان هذا من أكبر النقم على البشرية؛ لأنه سيؤدي إلى اجتماع المجرمين في كلِّ العصور، ولن يكون هناك سبيل إلى التخلص منهم، وكيف يكون حال أصحاب العاهات والآلام الشديدة، والمُعذَّبين الذين يتمنون الموت في كلِّ لحظة؟! وأية كارثة ستحيق

(١) الحديث في: سنن الترمذي ٤/ ٥٥٣، باب: ما جاء في ذكر الموت، رقم الحديث ٢٣٠٧، وهاذم: قاطع، وهاذم اللذات يعني الموت.

بالبشرية من هذا التكاثر المستمر بلا موت؟! وهذا كلُّه يقود إلى القول: إنَّ الموت من أعظم نعم الله على البشرية في هذه الأرض، فنعمته كنعمة الخلق؛ لذا أُكِّد الموت والخلق توكيدًا متناظرًا، فقد أُكِّد كلٌّ منهما بمؤكِّدين.

ومما جاء من التفاوت في التوكيد من هذا النوع أيضًا ما حكاه القرآن الكريم من قول امرأة العزيز: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [سورة يوسف:٣٢]، قالته بحضرة النسوة اللاتي تقرَّر عندهن جمال يوسف عليه السلام، وظهر منهنَّ العذر لامرأة العزيز؛ لتُجبره بهذا الوعيد على فعل مقصودها منه.

والتفاوت واقع في الآية بين توكيد الفعل في الجملة الأولى (لَيُسْجَنَنَّ) بالنُّون الثقيلة مع القسم المقدَّر الذي دلَّت عليه اللام، وتوكيد الفعل في الجملة الثانية (لَيَكُونَنْ) بالنُّون الخفيفة مع القسم المقدَّر أيضًا، ومن المعلوم أنَّ التوكيد بالثقيلة أبلغ وأشد، وللعلماء في بيان السرِّ من هذا التفاوت ثلاثة أوجه، هي:

- أنَّ امرأة العزيز التي بلغ حبُّ يوسُفَ في قلبها مبلغًا عظيمًا، كما قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [سورة يوسف:٣٠]، كانت على سَجْنه أشدَّ حرصًا من أن يكون صاغرًا[1]؛ لأنها تريد حبسَهُ قريبًا منها، فتراه كلَّما

(١) ينظر: شرح التصريح ٢/٣٠٠.

أرادت. قال البقاعي: ((ولمَّا كان عزمها على السجن أقوى من العزم على إيقاع الصغار به، أكَّدته بالنون الثقيلة))[١].

- أنَّ الزيادة إنما كانت في تأكيد السجن؛ لأنه يلزم منه إبعاده، وإبعاد الحبيب أولى بإنكارٍ من إهانته[٢].

- أنَّ السَّجنَ أُكِّد بالثقيلة لكونه متحقَّقًا، وكونُه صاغرًا أُكِّد بالخفيفة؛ لأنه غير متحقَّق[٣].

- أنَّ كونَهُ صاغرًا من توابع السجن ولوازمه، فاكتفي في توكيده بالنُّون الخفيفة بعد أن أُكِّد الأول بالثقيلة[٤].

وهذا الوجه الأخير هو الراجح في تقديري؛ لأن العطف جاء في الآية بالواو الدالة على الجمع، يعني ذلك أنها أرادت أن تسجنه، ويكون في السجن ذليلًا صاغرًا، بخلاف ما ذُكِر في آية سابقة مما حكاه القرآن الكريم من قولها لزوجها: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٢٥] ، وهذا في أول الأمر، إذ خَيَّرت زوجها بين أن يسجنه أو يعذبه عذابًا أليمًا، أي أرادت أحد الأمرين؛ لأن العطف جاء بـ(أوْ) المفيدة للتخيير.

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٣٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: حاشية الشهاب ٥/١٧٥.

(٤) ينظر: روح المعاني ٦/ ٤٢٤.

وقد جاءت (لتَكُونَن) في موضع آخر من القرآن الكريم بالنُّون الثقيلة، وذلك في خطاب الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٦٥]، ويعني ذلك أنه ليس هناك تفاوت في التوكيد بين إحباط العمل، وكونه خاسرًا إذا أشرك بالله عز وجل، بل بينهما تساوٍ.

وذكر الله عز وجل ما دار من حوار بين يعقوب عليه السلام وأولاده، فقد طلبوا من أبيهم أن يسمح لهم بأخذ أخيهم يوسُفَ عليه السلام معهم ليرتع ويلعب، فكان ردُّه عليهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [سورة يوسف:١٣]، وهنا لا بد من وقفة نتبيَّن فيها أدوات التوكيد الداخلة على الجملتين: الجملة الأولى، وهي جملة الحزن، والجملة الثانية، وهي جملة الخوف.

فالجملة الأولى (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي) فيها من أحرف التوكيد، (إنَّ)، و(اللام)، وأما الجملة الثانية (وَأَخَافُ) فقد اختلف فيها العلماء، فذهب بعضهم إلى أنها في محل رفع معطوفة على جملة (لَيَحْزُنُنِي)، لأن جملة (لَيَحْزُنُنِي) في محل رفع خبر (إنَّ)، وممَّن ذهب هذا المذهب الخراط، إذ قال: «وجملة (وَأَخَافُ) معطوفة على جملة (لَيَحْزُنُنِي»[1]، ويعني ذلك أن التوكيد الذي في جملة (لَيَحْزُنُنِي) يسري إلى جملة (وَأَخَافُ) من خلال العطف.

(١) المجتبى من مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٣٠.

وكون التوكيد في جملة (ليحزنني) يسري إلى جملة (وَأَخَافُ) من خلال العطف، لا يعني ذلك أن تتساوى الجملتان في التوكيد؛ بل تكون جملةُ الحزن (وهي الجملة الأولى) أشدَّ توكيدًا؛ لأنها ذُكِرتْ معها أحرف التوكيد، وأما جملة الخوف فقد حُذِفت منها أحرف التوكيد، إذ لم يُقَل فيها: وإني لأخاف أن يأكله الذئب، ومما لا مراء فيه أنَّ أدوات التوكيد إذا ذُكِرت في جملة وعُطِفت عليها جملة أخرى فالجملة المذكور فيها أدوات التوكيد أشدُّ توكيدًا من الجملة المحذوفة منها هذه الأدوات.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن جملة (وَأَخَافُ) في محل نصب معطوفة على جملة (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي)، التي هي في محل نصب مقول القول، وممَّن ذهب هذا المذهب محمود صافي (١٣٧٦هـ)، إذ قال: ((وجملة (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي) في محلِّ نصبٍ مقول القول ... وجملة: (أَخَافُ) في محلّ نصب معطوفة على جملة مقول القول))[(١)]، ويعني هذا أن التوكيد الذي في جملة الحزن لا يسري إلى جملة الخوف، وقد بيَّن ياسر الأقرع ذلك بقوله: ((وتأمَّل ردَّ سيدنا يعقوب على أولاده حين (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ)، وجاء هنا بمؤكدين (إنَّ – واللام في لَيَحْزُنُنِي)، (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ) وجاء بالجملة دون توكيد، فأيَّةُ دلالة يحملها وجود التوكيد في الجملة الأولى وغيابه عن الجملة الثانية؟))[(٢)]، ثم بيَّن السرَّ في عدم توكيد جملة الخوف، بقوله: ((وسيدنا يعقوب (عليه السلام) لم يؤكِّد خوفَهُ على يوسُفَ من أن يأكله الذئب؛ لأنه كان

(١) الجدول في إعراب القرآن ١٢/ ٣٩٠.

(٢) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ٢٧٤.

على ثقةٍ بأنَّ ذلك لن يحدث، فسيّدنا يوسُفَ قد اجتباه الله لحمل رسالته، وسيُعلِّمه من تأويل الأحاديث، ويُتمُّ نعمتَه عليه (حسب تفسير الرؤيا) ولا سبيل إلى ذلك كلِّه إن أكلَ الذئبُ يوسفَ (عليه السلام)، لذا جاء كلامه حول هذا الأمر دون توكيد، وإنما ساق هذا العذر (خوفُه على يوسفَ من الذئب) ليدفعَ عن أولاده ظنَّهم عدم الثقة بهم، لعلَّ هذا العذر يتيح له إبقاء يوسفَ عنده))[1].

٢- الجملة الثانية أشدُّ توكيدًا من الجملة الأولى:

لا يقلُّ هذا النوع من التفاوت في التوكيد بين الجمل القرآنية عن النوع الأول، ويكون لهذا التفاوت أسراره الدلالية الخاصة التي كشف العلماء عن بعضها من خلال التأمل في السياق العام للآيات، وقد اجتهدتُ في الوصول إلى معرفة السر في بعضها الآخر مما لم يتطرقوا في الحديث عنه بحسب علمي وتتبعي في كثير من المصادر المختلفة.

ومما ذُكِر من ذلك قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة:٤]، ثم جاء في السورة نفسها {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ

(١) المصدر السابق. والغريب في الأمر أن إخوة يوسف تركوا قضية حزن أبيهم على فراق يوسف (وهي مؤكدة) وردُّوا على قضية خوفه من أن يأكله الذئب، التي جاءت من دون توكيد، قوله تعالى: {قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ} [سورة يوسف:١٤]

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ } [سورة الممتحنة:٦].

فاستعمل في الجملة الأولى عند الحديث عن التأسي بإبراهيم عليه السلام والذين معه حرف التحقيق (قد)، في حين استعمل في الجملة الثانية اللام الواقعة في جواب القسم المقدَّر مع حرف التحقيق (قد)، ولعلَّ السرَّ في ذلك يعود إلى أنَّ التأسِّي في الجملة الأولى خاصٌّ ومُحدَّد في القول الذي قاله إبراهيم عليه السلام والذين معه، أما التأسِّي في الجملة الثانية فهو عامٌّ وغير مخصَّص بشيء، وهذا هو الأهم؛ ولذلك زيدت اللام مبالغة في التوكيد، قال سيد طنطاوي: ((وجيء بلام القسم في قوله: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) على سبيل المبالغة في التأكيد بوجوب التأسي بإبراهيم، وبمن آمن معه))(١). فعندما اتَّسعت العبادة وصارت أعمَّ وأوسعَ من الأولى جيء بـ(اللام).

وذكر فاضل السامرائي أنه أطلق التأسي في الآية الثانية ليشمل كلَّ الأمور الحسنة، ولذا أكَّد في هذه الآية أكثر ممَّا أكَّد في الآية الأولى، قال في الآية الأولى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ)، فجاء بحرف التحقيق (قد)، وقال في الآية الأخرى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ)، فجاء بـ(اللام) الواقعة في جواب القسم إضافة إلى (قد)، ثم أبدل من ضمير المخاطب، فقال: (لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ)؛ للدلالة على أهمية التأسِّي بهؤلاء المصطفين(٢).

ثم إنه لأهمية التأسي بنبي الله إبراهيم عليه السلام ومن معه كُرِّر الحثُّ والتأكيد عليه بدخول (اللام) الواقعة في جواب القسم المقدَّر على (قد)، وذلك لأن

---

(١) التفسير الوسيط في القرآن الكريم ١٤/ ٣٣٢.

(٢) ينظر: أسئلة بيانية في القرآن الكريم ١٨٥.

القسم هو أعلى مراتب التأكيد، قال الزمخشري: ((كُرِّر الحثُّ على الائتساء بإبراهيمَ وقومِهِ تقريرًا وتأكيدًا عليهم، ولذلك جاء به مصدَّرًا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد))[1].

وفي تصدُّر القسم بعد تكرار الحثِّ على التأسي بهم دلالةٌ على أنه لا ينبغي للمؤمن أن يترك هذا التأسِّي؛ لأن تركَهُ مؤذنٌ بسوء العقيدة[2]؛ ولذلك عقبه بقوله: (وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

وقد يقال إنَّ هذه (اللام) جيء بها لتشتد الرغبة في الالتزام بهذا التأسي لحسنه، وتقع الرهبة لمن ترك ذلك لقبح تركه، فهذه (اللام) تؤكِّد الحث على التأسي على وجهٍ بلغ الذروة من جمال الترغيب وجلال الترهيب[3].

وممَّا جاء فيه التفاوت في التوكيد بين الجمل القرآنية والتي كانت فيه الجملة الثانية أشدَّ توكيدًا من الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [سورة الكهف:٨] ، فقد احتوت الجملة الأولى على مؤكِّد واحد، هو (إنَّ)، واحتوت الجملة الثانية المعطوفة على مؤكِّدين، هما (إنَّ)، و(اللام).

ولعلَّ السرَّ في هذا التفاوت كما يبدو لي -والله أعلم- هو أنَّ جَعْلَ ما على الأرض من نبات، وحيوان، ومعادن، وأنهار، وبحار، وجبال وغير ذلك

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل ٤/ ٥١٣.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٠٥.

(٣) ينظر: نظم الدرر ٧/ ٥٥٧.

زينةً للأرض أمرٌ مشاهدٌ ومعلومٌ، فلا يحتاج إلى مزيد توكيد، لكنْ تصييرُ ما عليها بعد الزينة إلى الخراب والدمار، وجعلُ كلِّ شيءٍ عليها هالكًا لا يُنْبِت ولا يُنتفَع به أمرٌ غيبيٌّ لم يقع بعد؛ لهذا فإن توكيده بأكثر من توكيد يقوي هذا المعنى في ذهن السامع.

وقصَّ الله سبحانه في كتابه العزيز قصة السامري الذي أضلَّ بني إسرائيل بأن صنع لهم عجلًا من الذهب يخور خوار البقر، فلمَّا جاء إليه موسى عليه السلام عنَّفه أشدَّ التعنيف على ما فعله، وكان مما قاله له ما جاء ذكرُه في القرآن من قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [سورة طه:٩٧]، فجاء فعلُ (التحريقِ) في الجملة الأولى مؤكَّدًا بمؤكِّدين هما: (اللام) الدالة على القسم المقدر، و(نون) التوكيد الثقيلة، وجاء فعل (النَّسْفِ) في الجملة الثانية مؤكَّدًا بثلاثة مؤكِّدات، اثنان منها مثل مؤكِّدات فعل (التحريق)، والثالث هو مصدر الفعل (نَسْفًا).

ولعلَّ سرَّ هذا التفاوت هو أنَّ نسفَ العجل بالسحقِ وتَذْرِيَتَهُ في اليمِّ أشدُّ في القضاءِ عليه وإتلافِهِ من تحريقِهِ بالنار؛ إذ لن يبقى مع النسفِ منه أثرٌ، وسوف يذهب به من أصلِهِ، قال الألوسي: ((وقوله تعالى: (نسفًا) مصدرٌ مؤكِّد، أي: لنفعلنَّ به ذلك بحيث لا يبقى منه عينٌ ولا أثر، ولا يُصادَف منه شيءٌ فيُؤخَذ))[1].

(١) روح المعاني ٨/ ٥٦٧.

وربَّما يقال إنَّ توكيد النَّسف دون التحريق، لأن التحريقَ وسيلةٌ إلى النَّسف، إذ بالتحريق يلين العجل، فيتمكنوا من نسفه وتحويله إلى ذرَّات صغيرة.

وذهب البقاعي (٨٨٥هـ) إلى أنَّ توكيد الفعل هنا بالمصدر لإظهار عظمة الله، فقال: ((وأكَّد الفعل إظهارًا لعظمة الله الذي أمره بذلك، وتحقيقًا للصدق في الوعد، فقال: (نسفًا))[١].

وممَّا جاء فيه التفاوت بين جمل القرآن الكريم من هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [سورة محمد:٣٠]، فقد أُكِّدت (المعرفة بالسيمى) في الجملة الأولى بمؤكِّدٍ واحدٍ وهو (اللام)، وأُكِّدت (المعرفةُ بلحن القول) في الجملة الثانية بمؤكِّدين هما (اللام) الواقعة في جواب قسم مقدَّر، و(نون) التوكيد الثقيلة، فدلَّ ذلك على أنَّ المعرفة بلحن القول أقوى وأظهر من المعرفة بالسيمى، وإن شئت قلت: إنَّ المعرفة بالسمع أقوى من المعرفة بالبصر، ثم إنَّ المعرفة بالسيمى موقوفة على المشيئة.

قال ابن تيمية في بيان السرِّ من وراء هذا التفاوت: ((فمعرفةُ المنافقين في لحن القول ثابتة مُقسَمٌ عليها، لكِنْ هذا يكون إذا تكلموا، وأما معرفتهم بالسيمى فموقوف على مشيئة الله، فإنَّ ذلك أخفى))[٢]، وقال ابن قيِّم

(١) نظم الدرر ٧/ ٥٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ١١٨.

الجوزية (٧٥١هـ): ((والمقصود: أنه سبحانه أقسم على معرفتهم من لحن خطابهم، فإن معرفة المتكلم وما في ضميره من كلامه أقربُ من معرفته بسيماه وما في وجهه، فإنَّ دلالة الكلام على قصد قائله وضميره أظهر من السيماء المرئية))[١].

ومن هذا النوع أيضًا من التفاوت الذي يكون في سياق واحد، وتكون فيه الجملة الثانية أشدَّ توكيدًا من الجملة الأولى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [سورة يوسف:٨] ، فإخوة يوسف جلسوا يتشاورون في أمره، فجاء قولهم في الجملة الأولى (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا) مؤَكَّدًا بمؤكِّد واحد، وهو (اللام) في ليوسف، ثم جاء قولهم في الجملة الثانية (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) مؤَكَّدًا بمؤكِّدين، هما (إنَّ) و(اللام) المزحلقة، فهل كان أحد من إخوة يوسف يشك أو يتردد في أن يوسف وأخاه أحب إلى أبيهم منهم، أو هل أحد منهم ينكر أن أباهم في ضلال مبين. فلماذا إذاً جاء الكلام مؤَكَّدًا وهم في غير حاجة إلى توكيد ما هم متفقون عليه ومجتمعون بسببه!؟

والجواب عن ذلك بأن يقال: ((إنَّ مجيء الكلام مؤَكَّدًا في قولهم (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا) يؤسِّس لاقتراح غريب سيطرحونه، وصولًا إلى قرار جريء سيتفقون عليه، وهو التخلص من أخيهم يوسف؛ لذا أرادوا تأكيد الأسباب المؤدية إلى هذا الاقتراح حتى يبدو اقتراحًا مقبولًا له أسبابه

(١) تفسير القرآن الكريم ٣٥١.

ودوافعه، فبدؤوا بتوكيد أمر محبة أبيهم لأخيهم يوسف بمؤكِّد واحد (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا)، ثم صعّدوا الموقف بتوكيدين (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ليأتي عقب ذلك مباشرة قولهم: (اقْتُلُواْ يُوسُفَ). ولولا ما قدموه من أعذار مؤكدة، غير قابلة للشك (في زعمهم)، ما كان اقتراحهم (قتل أخيهم) أمراً مقبولاً. من هنا كان لابدّ – وصولًا إلى هذا الاقتراح – من توكيد الأسباب المؤدية إليه!)) (١).

ومما جاء فيه التفاوت بين الجمل القرآنية وكانت الجملة الثانية فيه أشدَّ توكيدًا من الجملة الأولى ما مرَّ معنا مما ذُكِر في سورة (يس) في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة يس:١٧].

وقد تحدثتُ عن ذلك سابقًا بما يغني عن الإعادة هنا.

وجعل بعض العلماء من التفاوت في التوكيد بين الجمل في السياق الواحد ما جاء في الحديث عن مناقب إبراهيم عليه السلام، إذ قال الله تعالى في بيان منزلته في الدنيا والآخرة بإيجاز وإعجاز: {وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [سورة البقرة:١٣٠] ، فذكر عز وجل كرامةَ إبراهيم عليه السلام

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ٢٧٣.

في الدارين، بأنْ كان في الدنيا من صفوته، فقد اصطفاه بالرسالة والخلة، والإمامة، والأذان بالحج، وبناء البيت وتطهيره، واتخاذ مقامه مُصلًّى، إلى غير ذلك مما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وهو في الآخرة من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح، ومن المقربين الذين لهم أعلى الدرجات(١).

واختلف العلماء في بيان التفاوت في التوكيد بين الجملتين، فذهب أبو حيان إلى أنَّ الجملة الثانية الاسمية (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) أشدُّ توكيدًا من الجملة الأولى الفعلية (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا)، فهو يرى أنَّ الجملة الأولى (جملة الاصطفاء) مؤكَّدة بـ(اللام) فقط، في حين أن الجملة الثانية (جملة الصلاح) مؤكَّدة بـ (إنَّ) و(اللام)(٢).

ثم ذكر السرَّ في كون الجملة الثانية أشدَّ توكيدًا من الأولى، فقال: «ولَـمَّا كان إخبارًا عن حالة مغيبة في الآخرة، احتاجت إلى مزيد تأكيد، بخلاف حال الدنيا، فإن أرباب المآل قد علموا اصطفاء الله له في الدنيا بما شاهدوه منه ونقلوه جيلًا بعد جيل، وأما كونه في الآخرة من الصالحين، فأمرٌ مغيَّبٌ عنهم يحتاج فيه إلى إخبار من الله تعالى، فأخبر الله به مبالغًا في التوكيد»(٣).

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل ١/ ٢١٦، وتفسير البحر المحيط ١ / ٥٦٦، وروح المعاني ١/ ٣٨٦.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط ١ / ٥٦٦.

(٣) المصدر السابق.

وتبعه في ذلك السمين الحلبي، فقال في توجيهه لهذا التفاوت في التوكيد: «وأكَّد جملةَ الاصطفاءِ بـ(اللام)، والثانية بـ(إنَّ) و(اللام)، لأنَّ الثانية محتاجةٌ لمزيدِ تأكيدٍ، وذلك أنَّ كونَه في الآخرةِ من الصالحين أمرٌ مغيَّبٌ، فاحتاجَ الإخبارُ به إلى فَضْلِ توكيدٍ، وأمَّا اصطفاءُ الله له فقد شاهَدُوه منه، ونَقَله جيلٌ بعد جيلٍ»[1].

وممَّن تبع أبا حيان أيضًا أبو السعود (٩٨٢هـ)، وقد أوجز القول في ذلك، فقال: «لَمَّا أنَّ الأمور الآخروية خفية عند المخاطبين، فحاجتها إلى التأكيد أشدُّ من الأمور التي تُشاهَد آثارها»[2].

وعندي ملحوظتان على ما قاله أبو حيان:

الملحوظة الأولى:

أنه لم يذكر في جملة الاصطفاء أن (اللام) في (لقد) واقعة في جواب قسم محذوف، مع أنه يَذْكُر ذلك في مواضعَ أخرى من تفسيره، من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة:١٠٢]، إذ قال: «و(اللام) في (لقد) للقسم، هذا مذهب سيبويه وأكثر النحويين، وجملة (وَلَقَدْ عَلِمُواْ) مقسمٌ عليها، التقدير: واللهِ لقد علموا»[3].

---

(١) الدر المصون ٢/ ١٢٣.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٢٦٢.

(٣) تفسير البحر المحيط ١/ ٥٠٢.

لكن بتتبعي في كتابه للمواضع الأخرى التي ذُكِرت فيها (لقد)، وجدتُ أن له رأيين في (اللام) الداخلة على (قد)، فهو يرى مرةً أنها لامٌ تفيد التوكيد مثل لام الابتداء، وليست واقعة في جواب قسم محذوف، وهذا الذي ذهب إليه في توجيه الآية السابقة التي تتحدَّث عن إبراهيم عليه السلام، ومرةً يرى أنها واقعة في جواب قسم محذوف، وهذا الوجه هو مذهب أغلب النحويين المتقدمين.

وممَّا جاء عنه في ذكره للرأيين معًا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [سورة البقرة:٦٥]. «(اللام) في (لقد) هي لام توكيد، وتسمى لام الابتداء في نحو: لَزَيدٌ قائمٌ، ويحتمل أن تكون جوابًا لقسم محذوف، ولكنه جيء على سبيل التوكيد»[(١)]، ثم ذكر الرأيين أيضًا في مواضع أخرى وردت فيها (لقد)، منها قوله تعالى: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ } [سورة هود:١١٠]، فقد ذكر في بيان رأيه في لام (لقد) ما يفيد أنه قد تكرَّر منه ذلك، فقال: «تقدّم الكلام في هذه (اللام)، ويحتمل أن تكون للتأكيد، وأن تكون جواب قسم»[(٢)].

ولكن هل سيختلف الأمر عند أبي حيان إذا أخذ بالرأي الثاني في جملة الاصطفاء بدلًا من الرأي الأول؟، يعني هل سيَعُدُّ (اللام) في (لقد) والقسم المحذوف توكيدين، أم سيَعُدُّهما توكيدًا واحدًا؟.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٠٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ٤٦٦.

إذا عدَّهُما توكيدًا واحدًا لن يختلف الأمر حينئذٍ، أما إذا عدَّهما توكيدين فلن يكون هناك تفاوت بين جملة الاصطفاء وجملة الصلاح، ويبدو لي أن الأمر لن يختلف عنده وأن التفاوت قائم لا محالة سواء أخذ بالرأي الأول أم بالرأي الثاني، فهو في رأيه الأول يرى أن (اللام) وحدها تفيد التوكيد؛ لقوله السابق: «(اللام) في (لقد) هي لام توكيد، وتسمى لام الابتداء في نحو: لَزَيدٌ قائمٌ»، وفي رأيه الثاني يرى أن القسم وحده يفيد التوكيد؛ لقوله السابق: «ويحتمل أن تكون جوابًا لقسم محذوف، ولكنه جيء على سبيل التوكيد»[1]، أي إن القسم المحذوف التي دلَّت عليه لام (لقد) هو الذي يفيد التوكيد.

ولعلَّ السمين الحلبي يتفق مع أبي حيان في جواز الأمرين في اللام الداخلة على (قد)؛ فهو يرى أن جملة الاصطفاء مؤكَّدة بـ(اللام) وحدها كما سبق، لكنه نصَّ في موضع سابق بأن اللام في (لقد) واقعة في جواب قسم محذوف، وقد جاء عنه ذلك في أول آية ذُكِرت فيها (لقد)، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [سورة البقرة:٦٥]، فقال فيها: «قوله تعالى: {وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ} اللامُ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، تقديرُه: واللهِ لقد، وهكذا كلُّ ما جاءَ من نظائرِها»[2].

وأما أبو السعود فيبدو أنه يرى رأيًا واحدًا في اللام الداخلة على (قد)، وهو أنها واقعة في جواب القسم المحذوف، فقال: «واللامُ جواب قسم

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٠٨.

(٢) الدر المصون ١/ ٤١٢.

محذوف ... والجملة مقررة لمضمون ما قبلها، أي: وبالله لقد اصطفيناه»[1]، وهو يتفق مع أبي حيان على أن جملة الصلاح أشدُّ توكيدًا من جملة الاصطفاء، لكنه يرى أن القسم المقدر المفيد للتوكيد ليس خاصًا بجملة الاصطفاء، بل هو عام للجملتين، جملة الاصطفاء، وجملة الصلاح التي تدخل في حيز القسم من خلال العطف، وقد صرَّح هو بذلك، فقال: «وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) ... معطوفٌ عليها [أي على جملة الاصطفاء] داخلٌ في حيز القسم مؤَكِّدٌ لمضمونها»[2]، وبهذا فهو يرى أن جملة الاصطفاء فيها مؤَكِّد أو مؤَكِّدان، وأن جملة الصلاح فيها ثلاثة مؤَكِّدات، وبناء على هذا الأساس يظل التفاوت قائمًا بين الجملتين.

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق.

الملحوظة الثانية:

أنَّ أبا حيان لم يذكر أنَّ (قد) في جملة الاصطفاء تفيد التوكيد، ومثله أيضًا السمين الحلبي وأبو السعود، مع أنهم يرون أن هذا الحرف يفيد التوكيد قطعًا، جاء ذلك في مواضع أخرى من تفسيراتهم، خذ مثالًا على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [سورة النحل:٦٣] ، قال أبو حيان: ((أخبر تعالى بإرسال الرسل إلى أممٍ من قبل أُمَمِك، مُقسِمًا على ذلك ومؤكِّدًا بالقسم وبـ (قد) التي تقتضي تحقيق الأمر))[(١)].

وذكر السمين الحلبي في غير موضع أن (قد) تفيد التحقيق، من ذلك قوله: ((قد) حرف تحقيق وتوقع، ويُفيد في المضارع التقليلَ إلا في أفعال الله تعالى فإنَّها للتحقيق))[(٢)]، وكذلك فعل أبو السعود، فذكر أنها حرف تحقيق في أكثر من موضع من تفسيره، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ جملةٌ مستقلةٌ ... أُكِّدَت بالتوكيد القسمي وحرفِ التحقيقِ لكمال العنايةِ بتحقُّق مضمونِها))[(٣)].

---

(١) تفسير البحر المحيط ٥/ ٤٩١. وينظر: ٤/ ١١٥. والتحقيق في مصطلح النحويين يأتي بمعنى التوكيد. ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤١٧.

(٢) الدر المصون ١/ ٤١٢.

(٣) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٢٩، وينظر: ٥/ ٧٩، و٢/ ٤٦٩.

وعَكَسَ ابن عثيمين (١٤٢١هـ) التفاوت في التوكيد في هذه الآية فجعل جملة الاصطفاء أشدَّ توكيدًا من جملة الصلاح، أي جعل الجملة الأولى أشدَّ توكيدًا من الثانية، فهو يرى أن جملة الاصطفاء مؤَكَّدة بثلاثة مؤَكِّدات:

١ – (اللام) الموطئة للقسم.

٢ – حرف التحقيق (قد).

٣ – القسم المقدر الذي تدلُّ عليه (اللام).

أما جملة الصلاح فإنه يرى أنها مؤَكَّدة بمؤَكِّدين فقط، هما:

١– (إنَّ) الناسخة الداخلة على الضمير المتصل العائد على إبراهيم عليه السلام.

٢– (اللام) المزحلقة الداخلة على الجار والمجرور (من الصالحين).

ولم يبيِّن ابن عثيمين في تفسيره السرَّ في هذا التفاوت في التوكيد، وإنما اكتفى فقط بإيراد أدوات التوكيد في الجملتين(١).

وكذلك يرى فاضل السامرائي أنَّ الجملة المسبوقة بـ (لقد) فيها مؤَكِّدان، وهما القسم و(قد)، ولم يذكر (اللام)، فكأنَّ (اللام) إنما جيء بها لتكون دليلًا على القسم المقدر، ومما قاله في ذلك: «انظُر إلى المؤَكِّدات في السياق، وهي: التوكيد بالقسم و(قد) في قوله تعالى: { لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ } [سورة يونس:٩٤](٢).

(١) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة ٢/ ٧٠.

(٢) التعبير القرآني ١٣٣.

وهذا القول في تقديري مقبول ومستساغ؛ لأنه بذلك يفرق بين قولك: لقد جاء زيد، وقولك: واللهِ لقد جاء زيد، ويفرق بين قولِهِ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [سورة الحديد:٢٥]، وقولِهِ: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [سورة النحل:٦٣]، في كون الجملة الثانية أشدَّ توكيدًا من الجملة الأولى.

وعلى هذا الرأي فلو جُعِل القسم المقدَّر خاصًّا بجملة (الاصطفاء)، لا يكون بينها وبين جملة (الصلاح) تفاوت؛ لأن القسم المقدَّر الذي دلَّت عليه لام (لقد) إنما هو مؤكِّد واحد، وحرف التحقيق هو المؤكِّد الثاني، وبذلك تتساوى الجملتان بهذا الوجه أيضًا في التوكيد، ومثل ذلك التوكيد في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [سورة هود:٧٩]، ومثلهما أيضًا قوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم:٧]، فليس في (لَأَزِيدَنَّكُمْ) ثلاثة توكيدات، بل فيها توكيدان، كما أن في قوله: (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) توكيدين أيضًا، فبين الجملتين تساوٍ في التوكيد، وليس بينهما تفاوت، والله أعلم.

المبحث الثالث: تفاوت الجملتين في سياقين مختلفين

في الغالب تكون الجملتان في هذا النوع من التفاوت متفقتين من حيث الألفاظ ولكن تختلف إحدى الجملتين عن الأخرى في التوكيد؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [سورة الأنعام:١٦٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [سورة الأعراف:١٦٧] ، فالجملتان وردتا في سياقين مختلفين ولكن أُكِّدت الجملة الأولى بمؤكِّد واحد وهو (إنَّ)، وأُكِّدت الجملة الثانية بمؤكِّدين هما (إنَّ واللام).

ويقع في القرآن الكريم كثيرًا أنَّ الجملة تُؤَكَّد بمؤكِّدين في موضع لسرٍّ اقتضى الزيادة في التوكيد، وتُؤَكَّد في موضعٍ شبيهٍ له بمؤَكَّدٍ واحدٍ لسرٍّ دعا إلى استعمال كلِّ توكيدٍ في موضعه الملائم له، وكذلك الأمر في اختيار المؤكِّدات فقد تُؤَكَّد الجملة بـ (إنَّ) المشددة في موضع، وبـ (إن) المخففة في موضع آخر، أو تؤَكَّد بنون التوكيد الخفيفة في موضع، وتؤكد بنون التوكيد الثقيلة في موضع آخر.

وبالاستقراء والتتبع ظهر لي أنَّ زيادة التوكيد في سياقٍ ما تكون لأسرار بلاغية مختلفة، وجمعتُ هذه الأسرار فيما يأتي:

١- زيادة التوكيد في سياق الأمر الأشد:

هناك مظهران من مظاهر زيادة التوكيد في الأمر الأشد ورد ذكرهما في القرآن الكريم، هما:

أ- إذا دلَّ سياقٌ على أمرٍ شاقٍّ في إحدى الجملتين المتفقتين، ودلَّ سياق آخر على أمر أشقَّ منه، فتُؤَكَّد الجملة الواردة في سياق الأمر الأشقِّ توكيدًا زائدًا عن الأخرى:

مثال ذلك التفاوت الواقع في سورتي الأعرافِ وفُصِّلت بين قولِهِ تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [سورة فصلت:٣٦]، ويكمن التفاوت هنا في كون الوصفين (السميع، العليم) قد أُكِّدا في سورة فُصِّلت بمؤكِّدين: ضمير الفصل (هو)، و(إنَّ) الناصبة للاسم، أما في سورة الأعراف فقد أُكِّدا بمؤكِّدٍ واحد فقط، وهو(إنَّ) الناصبة للاسم.

والسرُّ في هذا التفاوت كما ذهب إليه ابن قيِّم الجوزية هو أنَّ المقام في سورة فصِّلت يقتضي المزيد من التوكيد؛ لأنَّ الأمر بالاستعاذة فيها قد وقع بعد أمرٍ أشق على النفس مما وقع في سورة الأعراف، وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه، وهذا لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولا يلقَّاه إلا من كان ذا حظٍّ عظيم، قال تعالى:﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [سورة فصلت:٣٤]، فالشيطان يصوِّر للعبد أنَّ مقابلة المسيء بالإحسان

إليه ذلٌّ وعجزٌ، فهو لا ينفك يدعوه إلى الانتقام لنفسه من ذلك المسيء، فكان المقام مقام تأكيد وتحريض(١).

أما في سورة الأعراف فإن الله عز وجل أمر عبده المؤمن بالإعراض عن الجاهلين، ولم يأمره بمقابلة إساءتهم بالإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٩]، وهذه الأمور الثلاثة، وهي الأخذ بالعفو، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين شاقة على النفوس أيضًا لكنها أسهل من مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه، وليس حرصُ الشيطانِ وسعيُهُ في دفع هذا كحرصِهِ وسعيِهِ في دفع المقابلة بالإحسان؛ ولذلك لم يحتج هذا المقام إلى مزيد تأكيد.

ويشبه هذا التفاوت في التوكيد التفاوت الواقع في سورتي لقمان، والشورى بين قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة لقمان:١٧]، وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة الشورى:٤٣]، ففي سورة لقمان أُكِّدت الجملة بـ (إنَّ) فقط، وأُكِّدت في سورة الشورى بـ (إنَّ) و(اللام) معًا، ولعلَّ السرَّ في ذلك يعود إلى أن الوصية في سورة لقمان بالصبر وحده، والوصية في سورة الشورى بالصبر والمغفرة لمن أساء إلينا، ولا شك أنَّ الثاني أشدُّ وأشقُّ على النفس من الأول، فاحتاج إلى زيادة في التوكيد.

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد ٢/٨٠٩-٨١٠ .

وهذا ما صرَّح به الكرماني (٥٠٥هـ) عند حديثه في سورة الشورى، فقال: «قوله: (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)، وفي لقمان: (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)؛ لأن الصبر على وجهين: صبرٌ على مكروه ينال الإنسان ظلمًا كمن قُتِل بعض أعزته، وصبرٌ على مكروه ينال الإنسان ليس بظلم، كمن مات بعض أعزته، فالصبر على الأول أشد، والعزم عليه أوكد، وكان ما في هذه السورة من الجنس الأول لقوله: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ)، فأكَّد الخبر باللام، وفي لقمان من الجنس الثاني فلم يؤكده»[(١)].

ب- إذا ورد في سياق إحدى الجملتين المتفقتين ما يدلُّ على معصية أقلّ، وورد في سياق الجملة الأخرى ما يدلُّ على معصية أكبر أُكِّدت الجملة الثانية تأكيدًا زائدًا، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:٢٣]، وقوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٤٩]، فالآية الأولى فيها مُؤَكِّدان واقعان في (لَنَكُونَنَّ)، وهما: (اللام) الواقعة في جواب القسم المقدر، ونون التوكيد الثقيلة، والآية الثانية فيها ثلاثة مُؤَكِّدات: المؤَكِّدان السابقان، بالإضافة إلى (اللام) الموطئة قبل الشرط، وبهذا تكون الآية الثانية آكد من الآية الأولى.

---

(١) أسرار التكرار في القرآن ١٩٠.

وإذا نظرنا في سياق الآيتين السابقتين عرفنا سرَّ هذا التفاوت، وهو أن الآية الثانية جاءت في سياق توبة بني إسرائيل بعدما عبدوا العجل واتخذوه إلهًا لهم، وهذا الفعل يعدُّ كفرًا صريحًا وضلالًا مبينًا، ولهذا عند توبتهم أَكَّدوا قولهم باللام الموطئة زيادة على توكيد الجواب، وأما الآية الأولى فهي على لسان آدم وزوجه حواء بعدما أكلا من الشجرة التي نهاهما ربُّهما من الأكل منها، وهذه المعصية أقل من معصية بني إسرائيل، فمعصية بني إسرائيل كفر؛ لأنه عبادة لغير الله، وأما معصية آدم فليست بكفر؛ لأنه مقر بربوبية الله، ومقر بعبوديته لربه عز وجل، وإنما هي لحظة ضعف أدركته كما تدرك الكثير من الناس من غير أن تخرجهم من دينهم ثم يتوبون منها، ولذلك وصف الله عز وجل بني إسرائيل بالضلال، فقال سبحانه: (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا)، ولم يصف آدم بذلك، فلما كانت المعصية أقلَّ كان التوكيد أقلّ، فلم تأت اللام الموطئة قبل الشرط، فالتوكيد يتناسب مع قدر المعصية[1].

ج- إذا ورد في سياق إحدى الجملتين المتفقتين ما كان بحاجة إلى شيء ما، وورد في سياق الجملة الأخرى ما كان أشد حاجة إليه، أكدت الجملة الثانية تأكيدًا زائدًا:

---

(١) ينظر: التعبير القرآني ١٦٢ - ١٦٣، ولمَّا لم يكن سؤال نوح عليه السلام لربه معصية حين سأله أن ينجي ابنه لم يؤكد كلامه، قال تعالى عن نوح: قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ } [سورة هود:٤٧] فنوح ظنَّ أنَّ ابنه يدخل مع أهله الناجين الذين وعد الله عز وجل بأنه ينجيهم، فبيَّن الله له أنه ليس من أهله؛ لأنه كافر، فطلب من الله المغفرة لسؤاله ولم يأت كلامه مؤكدًا.

مثال ذلك قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [سورة فاطر:٣٠]، وقوله في السورة نفسها: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [سورة فاطر:٣٤]، ففي الآية الأولى أكدت الجملة بمؤكِّد واحد، وهو (إنَّ)، وفي الآية الثانية أكدت الجملة بمؤكدين، هما (إنَّ) و (اللام).

ولو نظرنا إلى سياق الآيتين لوجدنا أنَّ الآية الأولى الأقل توكيدًا جاءت في سياق الحديث عن المؤمنين الذين يتلون كتاب الله عز وجل ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلًا ونهارًا، سرًا وعلانية، وهؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملًا غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ [سورة فاطر:٣٠].

وجاءت الآية الثانية الأكثر توكيدًا في سياق الحديث عن مَن منحهم الله عز وجل من أمة محمد ﷺ القرآن الكريم: فمن هؤلاء ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٤٥.

ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، أي مسارع مجتهد في الأعمال الصالحة، فَرْضِها ونفلها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة فاطر:٣٤].

فإذا كان عباد الله المؤمنين المذكورين في الآية الأولى، وهم من وصفهم الزحيلي (٢٠١٥م) بقوله: «آية (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) هذه آية القراء العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه»[(١)]، إذا كان هؤلاء محتاجين إلى مغفرة الله لذنوبهم، فكيف بعباد الله الذين فيهم المقصِّر والمتوسِّط في العمل، فلا شكَّ أنَّ هؤلاء أكثر احتياجًا لمغفرة الله عز وجل من غيرهم، قال فاضل السامرائي: «لمَّا ذكر تعالى (يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) قال (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) بدون (اللام)، ولمَّا ذكر الظالم لنفسه والمقتصد وذكر أنهم يدخلون الجنَّات ذكر (اللام) في قوله (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)؛ لأن هؤلاء محتاجون للمغفرة أكثر، ولولا المغفرة لما دخلوا الجنة، وهؤلاء أحوج إلى المغفرة من الأولين ... فالتأكيد جاء بحسب الحاجة إلى المغفرة»[(٢)].

(١) التفسير المنير ٢٢/ ٢٦٣.

(٢) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ١٧٢.

٢- زيادة التوكيد في سياق خطاب المُنكر:

إذا وردت إحدى الجملتين المتفقتين في سياق خطاب غير المُنكِر، ووردت الأخرى في سياق خطاب المُنكِر، فإن الجملة الثانية تُؤَكَّد تأكيدًا زائدًا عن الأولى:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [سورة طه:١٥] وقوله: {إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا } [سورة غافر:٥٩]، فأكَّد إتيان الساعة بـ (إنَّ) وحدها في آية طه، وبـ (إنَّ) واللام معًا في آية غافر، وذلك لأنَّ الخطاب في سورة طه لموسى عليه السلام، وموسى غير مُنكِر لها، أما في سورة غافر فإنَّ الكلام على الكافرين الذين يُنكِرون الساعة، قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر:٥٦]، ولذا أكَّدها مع الكافرين الذين ينكرونها أكثر مما أكَّدها مع موسى عليه السلام، ثم قال تعقيبًا على إتيان الساعة في سورة غافر: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة غافر:٥٩]، فحسُن أن يُؤَكَّد إتيانها إذا كان أكثر الناس لا يؤمنون بها، بخلاف سورة طه فقد قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [سورة طه:١٥]، فليس فيها من عدم

الإيمان بها أو النكران ما يدعو إلى الزيادة في التوكيد، وعلى هذا فسياق كلٍّ من الآيتين يستدعي التفاوت بينهما في التوكيد(١).

٣- زيادة التوكيد في سياق الأمر الأعم:

إذا كانت إحدى الجملتين المتفقتين أعمَّ وأشملَ من الأخرى فتؤكَّد الجملة الأعمُّ توكيدًا زائدًا عن الأولى:

ومثالُهُ ما ورد في سورة لقمان من قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة لقمان:١٢] ، وقوله تعالى في السورة نفسها: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [سورة لقمان:٢٦]، ففي الآية الأولى أُكِّدت الصفتان (غنيٌّ وحميدٌ) بـ (إنَّ) وحدها فقط، وأما في الآية الثانية فأُكِّدَتا بالضمير المنفصل (هو) مع (إنَّ) أيضًا، وبذلك تكون الآية الثانية آكَدُ من الآية الأولى.

ولعلَّ سرَّ هذا التفاوت يعود إلى أنَّ الآية الأولى جُعِل فيها الخلقُ على قسمين: مَنْ شَكَرَ ومَنْ كَفَرَ، وجاء قوله (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) جوابًا لمَنْ كَفَر، ومَنْ كَفَرَ يُعَدُّ بعضَ الناس، وأما في الآية الثانية فقد جاء الحديث فيها أعمُّ وأشمل، وبُيِّن فيها أنَّ لله سبحانه وتعالى جميعَ ما في السموات وما في الأرض مُلكًا وخَلقًا وعبيدًا وتصرُّفًا، وليس ذلك لأحد سواه، ولذلك فإنه لا يستحق العبادة أحدٌ غيره، لأنه الغني عما سواه، وكلُّ شيءٍ فقيرٌ إليه، وهم

(١) ينظر: درة التنزيل ٤١١- ٤١٢، والتعبير القرآني ١٧١- ١٧٢.

مملوكون له، محتاجون إليه، وهو المحمود في الأمور كلها[1]، ولمَّا كان الكلام هنا أعمَّ وأشملَ احتاج إلى الزيادة في التوكيد.

ويرى د. فاضل السامرائي أنَّ السرَّ في هذا التفاوت يأتي من حيث إنَّ الله عز وجل في الآية الأولى لم يذكر لنفسه مُلْكًا ولا شيئًا، فيكون المعنى أن الله غنيٌّ عن الشكر وعن الكفر لا ينفعه شكرٌ ولا يضره كفرٌ، وذَكَر أنَّ هذا نستعمله حتى في حياتنا اليومية، فقد تقول لشخص: أنا غنيٌّ عنك، وليس بالضرورة أن تكون ذا ثروةٍ ومالٍ، قال الخليل بن أحمد (١٧٥هـ)[2]:

أبلِغْ سُلَيمانَ أنِّي عنه في سَعَةٍ وفي غِنًى غير أنِّي لَسْتُ ذا مالِ

أما في الآية الأخرى فقد ذكر له مُلكًا، فقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾، فعندما ذكر له مُلْكَ السمواتِ والأرضِ المتَّسع، بيَّن أنه ليس هناك مَن هو أغنى منه؟ فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾، ومعنى ذلك أن الآخرين ليسوا شيئًا بالنسبة إلى غناه وهو صاحب الغنى وحده[3]، ولَمَّا كان الأمر كذلك زيد في توكيد هاتين الصفتين.

ومن زيادة التوكيد في سياق الأمر الأعمّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [سورة الزخرف:١٤] ، فإنه في هذه الآية جاء التوكيد بمؤكِّدين، هما (إنَّ)، و(اللام)، بخلاف قوله تعالى:

---

(١) ينظر: التفسير المنير ٢١ /١٦٩.

(٢) البيت له في: كتاب العين ٢/٢٢٨.

(٣) ينظر: لمسات بيانية ٩٧.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٥]، فإنه جاء فيها التوكيد بمؤكِّدٍ واحد فقط، وهو (إنَّ)، فكانت أقل توكيدًا من الآية التي قبلها، فما السرُّ في ذلك؟.

يكشف ابن جماعة عن هذا السرِّ، فيبيّن أنَّ آية الزخرف زيد فيها التوكيد؛ لأن هذا القول: (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) هو إرشاد عام من الله تعالى لعبيده أن يقولوه عند ركوبهم في الفلك أو على ظهور الأنعام في كل زمان، فناسب التوكيد بـ (اللام) حثًّا عليه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف:١٣]، ولم يأتِ ذكر اللام في آية الأعراف؛ لأنها تخبر عن قوم مخصوصين، قالوا هذا القول ومضوا(١)، وهم السحرة عندما توعَّدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب، قال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٥]، فجاء قولهم أقل توكيدًا من القول الأول؛ لأن القول الأول أعمُّ وأشمل من هذا القول.

قال ابن جماعة: « مسألة: قولُهُ تعالى: ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، وفي الشعراء: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ بحذف (اللام). جوابه أن هذا المحكي إرشاد من الله تعالى لعبيده أن يقولوه في كل

(١) ينظر: كشف المعاني ٣٣٢.

زمان، فناسب التوكيد باللام حثًّا عليه. وآية الشعراء: أخبر عن قوم مخصوصين مضوا فلم يكن للتأكيد معنًى)) (١).

٤- زيادة التوكيد لتقدم ما يستدعيه في السياق:

قد تكون إحدى الجملتين المتفقتين مسبوقة بأمر يستدعي الزيادة في توكيدها أكثر من الجملة الأخرى، مثال ذلك قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سورة الحج:٦٢]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة لقمان:٣٠].، فقد احتوت كلُّ آية من هاتين الآيتين على ثلاث جمل، تَفَاوَتَ التوكيدُ في الجملة الثانية منهما، وهي قوله في آية الحج: (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)، فأكدت الجملة فيها بـ (أنَّ)، وضمير الفصل (هو)، وأكدت الجملة نفسها في آية لقمان بـ (أنَّ) وحدها، وخلت من التوكيد بضمير الفصل.

وسياق كل من الآيتين يوضح السرَّ في هذا التفاوت، وهو أن آية الحج واقعة في سياق الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، وكان من نتائج هذا الصراع الهجرة من الديار والأرض والقتل والموت، ولا شكَّ أنَّ الله عز وجل ناصرٌ أهل الحق ومدافع عنهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ

(١) المصدر السابق.

حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحج:٤٠]، وفي هذا الصراع يسعى أنصار الباطل لإطفاء نور الله معاجزين معاندين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [سورة الحج:٥١]، ولا تجد مثل هذا الصراع في سورة لقمان، وإنما جاء فيها عرض لأصحاب الباطل من وجه آخر ليس صراع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة لقمان:٢١].

وذهب الإسكافي (٤٢٠هـ) إلى أن آية الحج خُصِّصت من دون آية لقمان بالزيادة في التوكيد في قوله: (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)؛ لأنها وقعت في مكان تقدمت فيه توكيدات مزيدة في ستة مواضع، من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝٥٩ * ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾ [سورة الحج:٦٠]، فلمَّا توالت التوكيدات المزيدة، ووقعت هي أيضًا بين خبرين مؤكَّدين توكيدًا زائدًا: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)، اقتضى كل ذلك أن يزاد في

توكيده؛ لتكون مثلها، وليس كذلك ما جاء في آية لقمان، إذ لم تتقدمها التوكيدات المزيدة التي تستتبع أمثالها[1].

ولكن يؤخذ على هذا القول في رأيي أمران:

١- أن الآية التي وردت قبل آية الحج مباشرة، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [سورة الحج:٦١]، والآية التي وردت بعدها مباشرة، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحج:٦٣]، خلت من الزيادة في التوكيد، وجاءت الجمل فيها مؤَكَّدة بمؤَكِّد واحد لا غير، فلو كان ما زعمه الإسكافي هو السرَّ في زيادة التوكيد؛ لما خلت هاتان الآيتان من الزيادة في التوكيد أيضًا.

٢- إذا كانت الآية من سورة لقمان، لم يُؤَكَّد فيها الخبر الثاني: (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) توكيدًا مزيدًا؛ لأنه لم يتقدمه توكيدات مزيدة في السورة نفسها، فلماذا إذًا أُكِّد توكيدًا مزيدًا الخبر الذي قبله مباشرة: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ)، ولماذا أيضًا أُكِّد توكيدًا مزيدًا الخبر الذي بعده مباشرة: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)، مع أنهما يشتركان معه في السبب.

ومن زيادة التوكيد لتقدُّم ما يستدعيه في السياق زيادة التوكيد بضمير الفصل في آية الزخرف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ٣١٢-٣١٣.

مُّسۡتَقِيمٌ ﴾ [سورة الزخرف:٦٤]، وهذه الزيادة غير موجودة في آية آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [سورة آل عمران:٥١]، ولا في آية مريم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [سورة مريم:٣٦] ، ففي هذين الموضعين أُكِّدت الجملة (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) بمؤكِّدٍ واحد، وهو (إنَّ)، وأما في سورة الزخرف، فقد وردت الجملة نفسها مؤكَّدةً بمؤكِّدين، هما (إنَّ) وضمير الفصل (هو) الواقع بين اسم إنَّ وخبرها، فما السرُّ إذًا في مجيء ضمير الفصل (هو) في آية الزخرف دون الآيتين الأُخْرَيَيْن.

أجاب الغرناطي عن ذلك بأنَّ زيادة ضمير الفصل في آية الزخرف دون الآيتين الأخريين تعود إلى أنَّ آية الزخرف تقدَّم قبلها ذكر الآلهة التي عُبدت من دون الله عز وجل ومن بينها المسيح عيسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [سورة الزخرف:٥٨]، فناسب ذلك زيادة توكيد ربوبية الله له في خطابه لبني إسرائيل بقوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)، ولمَّا لم يتقدم ذكر الآلهة قبل آية آل عمران وآية مريم لم تحتج الجملة فيهما إلى ضمير الفصل(١).

وهذا الجواب هو الراجح عندي، وهناك جواب آخر لكنه مرجوح، وهو جواب الكرماني فقد بيَّن أولًا أنَّ الجملة السابقة (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) جاءت

(١) ينظر: ملاك التأويل ١/٨٥ – ٨٧.

في سورة آل عمران بعد ما مضت آيات كثيرة في ذكره عليه السلام، وكان أولها الآية التي نزلت في شأن مريم عليها السلام، وهي: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:٤٢] ، ثم جاءت بعدها عشر آيات تتابعت في ذكره، ودلَّت على أنه عبدٌ مخلوقٌ ورسولٌ من الله عز وجل إلى بني إسرائيل، وليس كما يدَّعي بعض النصارى بأنه هو الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة:٧٢]، ولا هو ابن الله، كما زعم بعضهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣٠]، فلمَّا كانت هذه الآيات مجتمعةً تدلُّ على أن عيسى عليه السلام ليس هو الله ولا ابن الله، استغنت الجملة (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) عن الزيادة في التوكيد بما طال من الكلام قبلها وبما تقدَّم فيها من الآيات والدلالات على أنه سبحانه ربه وخالقه، واكتفت بتوكيدها بمؤكِّدٍ واحد فقط، ولم تحتج إلى مزيد توكيد.

وكذلك في سورة مريم جاء قوله تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) بعدما مضت آيات كثيرة عن مولده عليه السلام وإقراره في طفولته بأنه عبد الله ورسوله، وبدأت هذه الآيات بالحديث عن أمه مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [سورة مريم:١٦]، وبعد عشرين آية مرَّت من قصتها وقصته، قال: (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)، فاكتُفِي بما طال من الكلام الدال على أنَّ الله عز وجل

هو ربُّ المسيح عيسى عليه السلام، عن توكيد الجملة (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) بأكثر من مؤكِّد.

وأما في سورة الزخرف؛ فلم يطل الكلام عنه عليه السلام، وإنما جاء موجزًا مقتضبًا، فلم تأتِ قبل جملة (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) سوى آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [سورة الزخرف:٦٣]، فلمَّا خلا السياق من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله عز وجل هو ربُّه، وأنه عليه السلام هو عبده، حَسُنَ تأكيد الكلام بأكثر من مؤكِّد؛ صرفًا للناس عما ادعوه من أنه ابن الله إلى أنه عبد الله ورسوله(١).

فهذ خلاصة الجواب الذي ذكره الكرماني، وقد أشرتُ إلى أن هذا الجواب مرجوح؛ لأنه بحسب ما مرَّ معي في موضوع التفاوت في التوكيد بين الجمل القرآنية بأن الموضع الذي يطول فيه الكلام يزداد فيه التوكيد، والموضع الذي يقل فيه الكلام يقل فيه التوكيد، وليس العكس.

ومن زيادة التوكيد لتقدم ما يستدعيه في السياق زيادة التوكيد باللام في خبر (إنَّ) في آية الحج، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج:٤٠]، فقد أُكِّدت قوة الله وعزته في هذه الآية بـ (إنَّ) و(اللام)، وأُكِّدتا في آية الحديد بـ (إنَّ) وحدها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد:٢٥]، وذلك لأن آية الحج وردت في سياق الإذن للمؤمنين بالجهاد

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٢٥٧- ٢٥٨.

وقتال الأعداء، بعدما أخرجوا من ديارهم وقوتلوا ظلمًا، وفي سياق نصر الله عز وجل لهؤلاء المؤمنين المستضعفين، وأنه قادر سبحانه على نصرهم، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج:٤٠]، ولا شك أنَّ النصر يحتاج إلى قوة وعزة، فناسب ذلك أن تؤكَّد قوته وعزته بأكثر من مؤكِّد، وليس السياق كذلك في آية الحديد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد:٢٥]، فهذه الآية لم ترد في سياق الجهاد والقتال، ولا في سياق نصر الله للمؤمنين، بل وردت في سياق نصر المؤمنين لدعوة الله (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ)، فذِكرُ القوة والعزة مع نصر المؤمنين لدعوة الله عز وجل مناسب للسياق، فأكدا بمؤكِّد واحد، لكن ذكرهما مع نصر الله لجنوده المستضعفين أنسب إليه فأكدا بمؤكِّدين[1].

(١) ينظر: التعبير القرآني ١٧١- ١٧٢.

٥- زيادة التوكيد عند زيادة الحدة في الحوار:

ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة الأعراف:٦٦] ، وقوله: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة الشعراء:١٨٦]، فآية الأعراف مؤكَّدة بـ (إنَّ) المثقلة واللام المزحلقة، وآية الشعراء مؤكَّدة بـ(إن) المخففة وحدها، وأما اللام في (لَمِن) فهي اللام الفارقة يؤتى بها للفرق بين (إن) المخففة من الثقيلة و(إن) النافية، وأعني بذلك أنها ليست للتوكيد، وحتى لو قيل إنها للتوكيد، لن يغير ذلك من كون التكذيب في آية الأعراف أشدَّ من التكذيب في آية الشعراء؛ لأن (إنَّ) الثقيلة في رأيي أشد توكيدًا من (إن) المخففة، إذ إن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وعلى هذا يأتي السؤال: لماذا كان التكذيب في آية الأعراف أشدَّ من التكذيب في آية الشعراء؟

والجواب عن ذلك بأن يقال إن التكذيب في الأعراف أشد من التكذيب في الشعراء؛ لأن المشادة في الحوار كانت حادة وعنيفة بين هود وقومه عاد، فهم قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة الأعراف:٦٦]، وهو قال لهم: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾ [سورة الأعراف:٧١]، ومثل هذه المشادة في الحوار لم ترد في سورة الشعراء بين شعيب وقومه، فهم قالوا له: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ [سورة الشعراء:١٨٥]، وهو قال لهم: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة الشعراء:١٨٨] ، فالمواجهة كانت أشد بين هود وقومه من المواجهة بين شعيب وقومه؛ لذلك كان التكذيب أشد في آية الأعراف من التكذيب في آية الشعراء.

فإن قيل: أليس في قول قوم شعيب له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٨٧] ما يدل على المشادة في الحوار بينه وبينهم. والجواب عن ذلك بأن يقال: إنه لا يُنكَر في الغالب في أي حوار فيه تكذيب وجود المشادة بين المتحدثين، لكن المقصود مما سبق أن المشادة بين هود وقومه أشد من المشادة بين شعيب وقومه، لا أنه لا توجد مشادة بينهم، ثم إنه قد جاء من كلام قوم هود ما يفيد هذا المعنى، وهو قولهم له: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة الأعراف:٧٠] ، فإذًا تكون هذه المشادة لها ما يناظرها، وتبقى المشادة في الحوار بين هود وقومه مما ذكرته سابقًا ليس لها نظير.

وهناك رأي آخر لفاضل السامرائي وهو أن التكذيب اختلف في شدته في السورتين وذلك لوجود الفرق بين القائلين، ففي آية الأعراف القائلون هم الملأ الذين كفروا، وفي آية الشعراء القائلون هم خليط من الناس، فيهم الشديد التكذيب والقليل والإمعة والخائف، فهذا التكذيب مختلط لا يصل إلى تكذيب الذين كفروا خصوصًا، واستدل على ذلك بقوله تعالى بعد آيات الشعراء: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء:٨]، أي: إن فيه قلة مؤمنة، فهو نسب الكلام في آيات الشعراء إلى أصحاب الأيكة عمومًا، بخلاف آيات الأعراف فإنه نسب الكلام إلى الذين كفروا خاصة[١].

---

(١) ينظر: معاني النحو ٣٤٧/١- ٣٤٨، والتعبير القرآني ١٦٠- ١٦١.

الخاتمة:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، أما بعد فقد وصل البحث إلى ختامه، ويمكن الوقوف على أهم ما توصَّل إليه من نتائج، وهي:

١- التوصُّل إلى مفهوم للتفاوت في التوكيد بين الجمل في الدرس اللغوي.

٢- بيان أنَّ التفاوت في التوكيد بين الجمل يأتي على نوعين: تفاوت الجملتين في سياق واحد، وتفاوت الجملتين في سياقين مختلفين.

٣- تحديد الفرق بين التفاوت في التوكيد والتساوي فيه من جهة، وبينه وبين التخالف في التوكيد من جهة أخرى.

٤- الذهاب إلى أن التفاوت بين الجملتين في سياقٍ واحد يحدث بأن تكون الجملة الأولى أشدَّ توكيدًا من الجملة الثانية التي ترد بعدها، أو العكس.

٥- قد يختلف العلماء في التفاوت بين الجمل، فيرى بعضهم أن الجملة الأولى أشدُّ توكيدًا من الجملة الثانية، ويرى غيره عكس ذلك تمامًا، وكلٌّ له رأيه واجتهاده.

٦- الإشارة إلى أنَّ التفاوت في السياقين المختلفين يكون بين جملتين اتفقتا لفظًا ومعنًى، وزادت إحداهما عن الأخرى في التوكيد.

٧- التوصل إلى أن الزيادة في التوكيد بين الجمل المتفاوتة في سياقين مختلفين تكون للجملة التي يكون فيها الأمر أشد، أو للجملة التي يكون فيها الشخص منكرًا، أو للجملة التي يأتي فيها الأمر أعم، أو للجملة التي يتقدم

عليها ما يستدعي الزيادة في التوكيد، أو للجملة التي تزداد فيها الحدة في الحوار.

٨- ليس كلُّ المواضع التي فيها التفاوت بين الجمل في التوكيد تحدَّث عنها العلماء، وبيَّنوا ما فيها من الأسرار الدلالية والبلاغية، ولهذا اجتهد فيها الباحث، ووصل إلى نتائج قد يكون فيها مصيبًا -وأسأل الله ذلك- وقد يكون فيها مخطئًا.

المصادر والمراجع:

(١) القرآن الكريم.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٨م.

(٣) أسئلة بيانية في القرآن الكريم، لفاضل السامرائي، الشارقة، مكتبة الصحابة، ط١، ٢٠٠٨م.

(٤) أسرار التكرار في القرآن، للكرماني محمود بن حمزة بن نصر (٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، القاهرة، دار الاعتصام، ط٢، ١٣٩٦هـ.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ.

(٧) بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية أبي عبدالله محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، مكة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٤هـ.

(٨) البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط٣، ١٩٨٤.

(٩) التعبير القرآني: لفاضل صالح السامرائي، عمان، دار عمار، ط٢، ٢٠٠٢م.

(١٠) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٧١م.

(١١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م.

(١٢) تفسير الفاتحة والبقرة، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

(١٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م.
(١٤) تفسير القرآن الكريم، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٤١٠هـ.
(١٥) التفسير المظهري، لمحمد ثناء الله المظهري (١٢٢٥هـ)، تحقيق: غلام نبي التونسي، باكستان، مكتبة الرشدية، ١٤١٢ هـ.
(١٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: للزحيلي وهبة بن مصطفى (٢٠١٥م)، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ.
(١٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار نهضة مصر، الجزء الرابع عشر، ط١، ١٩٩٨م.
(١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (١٣٧١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
(١٩) جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
(٢٠) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لشمس الدين محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م.
(٢١) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ)، دمشق، دار الرشيد، ط٤، ١٤١٨هـ.
(٢٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (١٠٦٩هـ)، بيروت، دار صادر.
(٢٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ١٤٠٦هـ.

(٢٤) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ)، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٤، ١٩٨١م.
(٢٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
(٢٦) سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى (٢٩٧هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٢م.
(٢٧) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، لزين الدين خالد بن عبد الله الأزهري (٩٠٥هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.
(٢٨) شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١، ١٣٨٣هـ.
(٢٩) غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني (٥٠٥هـ)، تحقيق: شمران سركال يونس العجلي، جدة، دار القبلة، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٣م.
(٣٠) كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣م.
(٣١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
(٣٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لبدر الدين بن جماعة (٧٣٣هـ)، تحقيق: عبد الجواد خلف، المنصورة، دار الوفاء، ط١، ١٩٩٠م.
(٣٣) اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي (٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.
(٣٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، لفاضل صالح السامرائي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٩م.
(٣٥) المجتبى من مشكل إعراب القرآن، لأبي بلال أحمد بن محمد الخراط، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

(٣٦) مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م.
(٣٧) مختار الصحاح، للرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (٦٦٠هـ)، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م.
(٣٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.
(٣٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي أحمد بن محمد المقري (٧٧٠هـ)، تحقيق: عبد العظيم الشناوى، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٧م.
(٤٠) معالم التنزيل (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمد عبد الله النمر، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧م.
(٤١) معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي، الأردن، دار الفكر ، ط١، ٢٠٠٠م.
(٤٢) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩١م.
(٤٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد الفاسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م.
(٤٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

Reference:

(1) AlqrĀn Alkrym.

(2) AlĂtqAn fy ςlwm AlqrĀn، ljlAl Aldyn AlsywTy (911h-)، tHqyq: mHmd Âby AlfDl ĂbrAhym، byrwt، Almktbħ AlςSryħ، 1988m.

(3) ÂsŶlħ byAnyħ fy AlqrĀn Alkrym، lfADl AlsAmrAŶy، AlŝArqħ، mktbħ AlSHAbħ، T1، 2008m.

(4) ÂsrAr AltkrAr fy AlqrĀn، llkrmAny mHmwd bn Hmzħ bn nSr (505h)، tHqyq: ςbd AlqAdr ÂHmd ςTA، AlqAhrħ، dAr AlAςtSAm، T2، 1396h.

(5) ÂDwA' AlbyAn fy ĂyDAH AlqrĀn bAlqrĀn، lmHmd AlÂmyn bn mHmd bn AlmxtAr Aljkny AlŝnqyTy (1393h-)، byrwt، dAr Alfkr، 1995m.

(6) ÂnwAr Altnzyl wÂsrAr AltÂwyl، lÂby sςyd ςbd Allh bn ςmr AlbyDAwy (685h-)، tHqyq: mHmd ςbd AlrHmn Almrςŝly، byrwt، dAr ĂHyA' AltrAθ Alςrby، T1، 1418h-.

(7) bdAŶς AlfwAŶd: lAbn qym Aljwzyħ Âby ςbdAllh mHmd bn Âby bkr (751h-)، tHqyq: ςly bn mHmd AlςmrAn، mkħ، dAr ςAlm AlfwAŶd، 1424h.

(8) AlbrhAn fy ςlwm AlqrĀn: lbdr Aldyn mHmd bn ςbd Allh Alzrkŝy (794h-)، tHqyq: mHmd Âby AlfDl ĂbrAhym، AlqAhrħ، mktbħ dAr AltrAθ، T3، 1984.

(9) Altςbyr AlqrĀny: lfADl SAlH AlsAmrAŶy، ςmAn، dAr ςmAr، T2، 2002m.

(10) tfsyr Âby Alsςwd (ĂrŝAd Alςql Alslym ĂlŶ mzAyA AlktAb Alkrym): lÂby Alsςwd mHmd bn mHmd bn mSTfŶ AlςmAdy (982h-)، tHqyq: ςbd AlqAdr ÂHmd ςTA، AlryAD، mktbħ AlryAD AlHdyθħ، 1971m.

(11) tfsyr AlbHr AlmHyT، lÂby HyAn mHmd bn ywsf AlÂndlsy (745h-)، tHqyq: ςAdl ÂHmd ςbd Almwjwd، wςly mHmd mςwD، wĀxryn، byrwt، dAr Alktb Alςlmyħ، T1، 1993m.

(12) tfsyr AlfAtHħ wAlbqrħ، lmHmd bn SAlH bn mHmd Alςθymyn (1421h-)، Almmlkħ Alςrbyħ Alsςwdyħ، dAr Abn Aljwzy، T1، 1423h-.

(13) tfsyr AlqrĀn AlςĎym، lÂby AlfdA' ĂsmAςyl bn ςmr bn kθyr (774h-)، tHqyq: sAmy bn mHmd slAmħ، dAr Tybħ، T2، 1999m.

(14) tfsyr AlqrĀn Alkrym، lŝms Aldyn mHmd bn Âby bkr Abn qym Aljwzyħ (751h-)، tHqyq: mktb AldrAsAt wAlbHwθ Alçrbyħ wAlĂslAmyħ bĂŝrAf Alŝyx ĂbrAhym rmDAn، byrwt، dAr wmktbħ AlhlAl، T1، 1410h-.
(15) Altfsyr AlmĎhry، lmHmd θnA' Allh AlmĎhry (1225h)، tHqyq: γlAm nby Altwnsy، bAkstAn، mktbħ Alrŝdyħ، ١٤١٢ h-.
(16) Altfsyr Almnyr fy Alçqydħ wAlŝryçħ wAlmnhj: llzHyly whbħ bn mSTfŶ (2015m)، dmŝq، dAr Alfkr AlmçASr، T2، 1418h-.
(17) Altfsyr AlwsyT llqrĀn Alkrym، lmHmd syd TnTAwy، AlqAhrħ، dAr nhDħ mSr، Aljz' AlrAbç çŝr، T1، 1998m.
(18) tysyr Alkrym AlrHmn fy tfsyr klAm AlmnAn، lçbd AlrHmn bn nASr bn Alsçdy، tHqyq: çbd AlrHmn bn mçlA AllwyHq، byrwt، mŵssħ AlrsAlħ، T1، 2000m.
(19) jAmç AlbyAn fy tÂwyl AlqrĀn، lÂby jçfr mHmd bn jryr AlTbry (310h-)، tHqyq: ÂHmd mHmd ŝAkr، mŵssħ AlrsAlħ، T1، 2000m.
(20) AljAmç lÂHkAm AlqrĀn (tfsyr AlqrTby)، lŝms Aldyn mHmd bn ÂHmd AlqrTby (671h-)، tHqyq: ÂHmd Albrdwny wĂbrAhym ÂTfyŝ، AlqAhrħ، dAr Alktb AlmSryħ، T2، 1964m.
(21) Aljdwl fy ĂçrAb AlqrĀn، lmHmwd bn çbd AlrHym SAfy (1376h-)، dmŝq، dAr Alrŝyd، T4، 1418h-.
(22) HAŝyħ AlŝhAb çlŶ tfsyr AlbyDAwy، lŝhAb Aldyn ÂHmd bn mHmd bn çmr AlxfAjy (1069h-)، byrwt، dAr SAdr.
(23) Aldr AlmSwn fy çlwm AlktAb Almknwn، llsmyn AlHlby ÂHmd bn ywsf (756h-)، tHqyq: ÂHmd mHmd AlxrAT، dmŝq، dAr Alqlm، 1406h.
(24) drħ Altnzyl wγrħ AltÂwyl fy byAn AlĀyAt AlmtŝAbhAt fy ktAb Allh Alçzyz، llxTyb AlĂskAfy (420h)، byrwt، dAr AlĀfAq Aljdydħ، T4، 1981m.
(25) rwH AlmçAny fy tfsyr AlqrĀn AlçĎym wAlsbç Almθany، lŝhAb Aldyn mHmwd Abn çbd Allh AlHsyny AlÂlwsy (1270h-)، tHqyq: çly çbd AlbAry çTyħ، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، 1415h-.

(26) snn Altrmðy: lÂby ςysŶ mHmd bn ςysŶ (297h-)، tHqyq: ĂbrAhym ςTwħ ςwD، mSr، mTbςħ mSTfŶ AlbAby AlHlby، T1، 1962m.
(27) ŝrH AltSryH ςlŶ AltwDyH Âw AltSryH bmDmwn AltwDyH fy AlnHw، lzyn Aldyn xAld bn ςbd Allh AlÂzhry (905h-)، byrwt، dAr Alktb Alςlmyħ، T1، 2000m.
(28) ŝrH qTr AlndŶ wbl AlSdŶ، lÂby mHmd ςbd Allh bn hŝAm AlÂnSAry (761h)، tHqyq: mHmd mHyŶ Aldyn ςbd AlHmyd، AlqAhrħ، T11، 1383h.
(29) γrAŶb Altfsyr wςjAŶb AltÂwyl، mHmwd bn Hmzħ AlkrmAny (505h)، tHqyq: ŝmrAn srkAl ywns Alςjly، jdħ، dAr Alqblħ، byrwt، mŵssħ ςlwm AlqrĀn، 1983m.
(30) ktAb Alςyn: lÂby ςbd AlrHmn Alxlyl bn ÂHmd AlfrAhydy (175h-)، tHqyq: ςbd AlHmyd hndAwy، byrwt، dAr Alktb Alςlmyħ، T1، 2003m.
(31) AlkŝAf ςn HqAŶq Altnzyl wςywn AlÂqAwyl fy wjwh AltÂwyl، lÂby AlqAsm mHmwd bn ςmr Alzmxŝry (538h-)، tHqyq: ςbd AlrzAq Almhdy، byrwt، dAr ĂHyA' AltrAθ Alςrby.
(32) kŝf AlmςAny fy AlmtŝAbh mn AlmθAny، lbdr Aldyn bn jmAςħ (733h)، tHqyq: ςbd AljwAd xlf، AlmnSwrħ، dAr AlwfA'، T1، 1990m.
(33) AllbAb fy ςlwm AlktAb، lÂby HfS ςmr bn ςly Abn ςAdl Aldmŝqy (880h-)، tHqyq: ςAdl ÂHmd ςbd Almwjwd، wςly mHmd mςwD، byrwt، dAr Alktb Alςlmyħ، T1، 1998m.
(34) lmsAt byAnyħ fy nSwS mn Altnzyl، lfADl SAlH AlsAmrAŶy، bγdAd، dAr Alŝŵwn AlθqAfyħ AlςAmħ، T1، 1999m.
(35) AlmjtbŶ mn mŝkl ĂςrAb AlqrĀn، lÂby blAl ÂHmd bn mHmd AlxrAT، Almdynħ Almnwrħ، mjmς Almlk fhd Alŝryf، 1426h-.
(36) mjmwς AlftAwŶ، ltqy Aldyn Âby AlςbAs ÂHmd bn ςbd AlHlym bn tymyħ (728h–)، tHqyq: Ânwr AlbAz، wςAmr AljzAr، dAr AlwfA'، T3، 2005m.
(37) mxtAr AlSHAH، llrAzy mHmd bn Âby bkr bn ςbd AlqAdr (660h)، tHqyq: mHmwd xATr، byrwt، mktbħ lbnAn، 1995m.

(38) Almzhr fy çlwm Allγħ wÂnwAçhA، ljlAl Aldyn çbdAlrHmn bn Âby bkr AlsywTy (911h)، tHqyq: fŵAd çly mnSwr، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، T1، 1998m.
(39) AlmSbAH Almnyr fy γryb Alŝrh Alkbyr، llfywmy ÂHmd bn mHmd Almqry (770h)، tHqyq: çbd AlçĎym AlŝnawŶ، AlqAhrħ، dAr AlmçArf، T2، 1977m.
(40) mçAlm Altnzyl (tfsyr Albγwy)، lÂby mHmd AlHsyn bn msçwd Albγwy (516h-)، Hqqh wxrj ÂHAdyθh mHmd çbd Allh Alnmr، dAr Tybħ، T4، 1997m.
(41) mçAny AlnHw، lfADl SAlH AlsAmrAŶy، AlÂrdn، dAr Alfkr ، T1، 2000m.
(42) mçjm AlÂdbA' Âw ĂrŝAd AlÂryb ĂlŶ mçrfħ AlÂdyb، lÂby çbd Allh yAqwt bn çbd Allh Alrwmy AlHmwy (626h)، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ،1991m.
(43) mlAk AltÂwyl AlqATç bðwy AlĂlHAd wAltçTyl fy twjyh AlmtŝAbh AllfĎ mn Āy Altnzyl، lÂby jçfr ÂHmd bn ĂbrAhym bn Alzbyr Alθqfy (708h)، wDç HwAŝyh: çbd Alγny mHmd AlfAsy، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، 1971m.
(44) nĎm Aldrr fy tnAsb AlĀyAt wAlswr، lbrhAn Aldyn Âby AlHsn ĂbrAhym bn çmr AlbqAçy (885h-)، tHqyq: çbd AlrzAq γAlb Almhdy، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، 1995m.